قال تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلا تُفْسِدوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

صدق الله العظيم

الآية ٨٥ من سورة الأعراف

حماية البيئـــة
في الشريعة الإسلامية

د. علي محمد يوسف المحمدي
عميد كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

مقدمـة

إن قضية البيئة اليوم من القضايا الساخنة على مسرح الحياة اليومية، فقد شغلت اهتمام العالم أجمع، وبخاصة بعد أن دق العلماء جرس الإنذار، ونبهوا العالم المتحضر إلى خطورة الآثار الناجمة عن أنشطته غير السوية، وما صاحب ذلك من تردي الأنظمة البيئية، وهدر الموارد في الاستخدام المفرط لها، وما صاحب ذلك من تلوث الجو والماء والتربة، وإتلاف الأراضي الزراعية التي تغذي البشر وتحولها إلى صحراء، وتحول الغابات إلى مراعي فقيرة، وأراضي المياه العذبة إلى مناطق مالحة، والشعب المرجانية الغنية إلى امتدادات للمحيطات، والتناقص المستمر في التنوع البيولوجي، يضاف إلى ذلك توقع العلماء في أن يصاحب ذلك كله حدوث تغير في المناخ ، وفي استقرار أنظمة الدورة الهوائية [١].

وبين العلماء أن استمرار العالم المتحضر على هذا النهج ينذر سكان الأرض بهلاك مؤكد مما دفع المراكز العلمية وجمعيات حقوق الإنسان وحماية البيئة إلى البحث عن أسباب تلك المهلكات، وسبل الوقاية منها.

وكان أبرز الخطوات في تحقيق هذا الهدف هو الدعوة إلى مؤتمر ريوجانيرو «قمة الأرض» في يونيو ١٩٩٢م الذي دعت إليه الأمم المتحدة، وحضره أكثر من عشرين ألف شخص من ١٧٨ دولة [٢] وفي يوليو ١٩٩٣م أنشأ الرئيس كلنتون المجلس الرئاسي للتنمية المتواصلة وإن نحواً من سبعين دولة بدأت جهوداً مماثلة حيث لم تعد قضية البيئة حكراً على الدول الصناعية، دون غيرها، بل غدت قضية عالمية يحتفل بذكراها في يوم ٥ يونيو من كل عام، وهذا يدل أيضاً على المكانة التي صارت تحتلها البيئة في الوعي المجتمعي، ولدى بعض الأنظمة الثقافية، بل صار الحق في البيئة أحد حقوق الإنسان الجديدة، حيث إنها تمثل قيمة من قيم المجتمع، ومن ثم يسعى النظام القانوني للحفاظ عليها والقانون الجنائي لحمايتها [٣].

وشرّق الناس وغرّبوا، في اقتناص الحلول ناسين، أو متناسين أن الإسلام الذي اختاره الله تعالى خاتمة رسالاته إلى الأرض يحمل الحلول العاجلة والمستقبلية، لهذه المشكلة المستعصية على البشرية. وهذا البحث يهدف إلى بيان موقف الإسلام من حماية البيئة وطريقته في معالجة مشاكلها، وكيفية إنقاذ البشرية من هذا الخطر المحدق بهم.

كما يهدف إلى بيان أن ماوضعه العلماء من أفكار لتخفيف الخطر البيئي أو الحد منه في الربع الأخير من هذا القرن، قد سبق الإسلام هؤلاء العلماء بقرون بوضع التشريعات الكافية لحماية البيئة، وجعل المحافظة على كل عنصرمن عناصرها، عبادة يتقرب بها المؤمن إلى ربه، والإخلال بها يعد ذنباً يعاقب عليها.

ولما كانت قضية البيئة من السعة بمكان، فإني سوف أقصر حديثي على أهمها بما يخدم غرض البحث وهو: **«حماية البيئة في الشريعة الإسلامية»**.

ويتكون منهج البحث بعد هذه المقدمة من تمهيد وفصلين وخاتمة،

في التمهيد : تعريف بالبيئة وأهميتها ومدى العناية بها في العصر الحاضر.

وعرض الفصل الأول : لأهم مشكلات البيئة،أو قضاياها، وهي:

أ - التلوث.

ب - الإخلال بالتوازن البيئي.

ج - الإسراف.

د - الجشع والطمع.

هـ - فساد الإنسان.

و - الأضرار المادية والاقتصادية.

أما الفصل الثاني : فقد عقد للحديث عن « الشريعة والبيئة» : وهو يتكون من:

تمهيد وثلاثة مباحث .

تناول التمهيد العلاقة بين الإنسان والبيئة.

وخصص المبحث الأول: لدور القيم الإسلامية في حماية البيئة.

وتحدث المبحث الثاني: عن وسائل حماية البيئة. وهو يتكون من ستة فروع :

الفرع الأول : الأمر بالنظافة.

الفرع الثاني : المحافظة على نظافة الماء وعدم تلويثه.

الفرع الثالث : المحافظة على الهواء.

الفرع الرابع : الحفاظ على البيئة النباتية.

الفرع الخامس : الحفاظ على البيئة الحيوانية.

الفرع السادس : الحفاظ على البيئة البرية.

وجاء المبحث الثالث لبيان : حماية البيئة عن طريق العقوبات الرادعة .

وفي، الخاتمة تسجيل لأهم نتائج البحث وبعض التوصيات.

وقد اعتمدت في إعداد هذا البحث على كثير من المراجع الشرعية والبيئية، وأطمع أن أكون قد وفقت في الكشف عن حماية البيئة في الشريعة الإسلامية، هذه الشريعة التي ختم الله بها الشرائع وجعلها عامة وخالدة وصالحة للتطبيق الدائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

تمهيد

تعريف البيئة وأهميتها ومدى العناية بها في العصر الحاضر.

بما أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فإني أقدم بين يدي البحث تعريفاً مختصراً للبيئة ، إذ هي أصل الموضوع، ثم أبين كيفية حماية الشريعة لها.

تعريف البيئة : لقد تناول كل من كتب في موضوع البيئة معناها لغة واصطلاحاً، وحاصلها أنها:مجموعة النظم الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى وتمارس فيها نشاطها، وتستمد منها مقومات حياتها[٤].

فالبيئة هنا تشمل كوكب الأرض بمكوناته الطبيعية الحية وغير الحية، والمنظورة وغير المنظورة، والعنصر الاصطناعي، والعلاقات الإنسانية والاجتماعية والموروثات الثقافية التي تتفاعل مع بعضها البعض. وهذا لا يبتعد عن مفهوم البيئة في التصور الإسلامي إذ هي جملة الأشياء التي تحيط بالإنسان زماناً ومكاناً وحدثاً، ومن المعلوم أن شخصية الإنسان ومسلكه واتجاهاته وقيمه التي يؤمن بها تحددها أنماط التفاعل مع مكونات بيئته المختلفة. غير أن البيئة في تصور المسلم لا تقف عند حدود المفهوم العلمي ، وإنما تبدأ بيئته منذ أن يكون نطفة في بيئة الرحم إلى وفاته، كما أنه لا يعرف تقسيم مكوناتها إلى حية وغيرحية ، وإنما يتعامل مع كائن حي ﴿يا جبال أوبي معه والطير..﴾ [٥]

وهذا المفهوم تنبه له أخيراً آل جور حينما عبر عنه بقوله:«إننا نرى الآن أن الهواء والمحيط، والتربة أكبر كثيراً من أن تكون مجرد بيئة للحياة، إنها تشكل جزءاً من الحياة ذاتها »[٦] .

أهمية البيئة ومدى العناية بها في عصرنا :

وقد أدرك العالم اليوم أهمية البيئة، وبدأ الاهتمام الدولي الملفت للنظر بعقد مؤتمرات، وندوات، وبرامج إعلامية، ورصدت ميزانية لآلاف الخبراء ومساعديهم من أجل العمل على حماية البيئة، ومن ذلك اتفاقية تغير المناخ، واتفاقية التنوع البيولوجي،واتفاقية طبقة الأوزون على المواد التي تستنفد طبقة الأوزون من إحدى وعشرين دولة في سنة ١٩٨٥م وبرتوكول مونتريال لسبع وعشرين دولة سنة ١٩٨٩م، ومؤتمر قمة الأرض في ١٩٩٢م، والذي حضره أكثر من عشرين ألف شخص، ومؤتمر كوبنهاجن للتنمية البيئية سنة١٩٩٥م وغير ذلك من المؤتمرات السابقة واللاحقة لتدلنا بحق على أهمية قضية البيئة؛ وعلى عالميتها وضرورة التكاتف الدولي لحمايتها[٧] .

وتأتي أهمية البيئة في الإسلام من كونها جزءاً من المنظومة الكونية المليئة بالأسرار، وقد خلقها الله تعالى للإنسان: ﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾[٨] ، ثم خلق الإنسان من ترابها ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ﴾[٩] «والإنسان مخلوق من مادة هذه الأرض، عناصر جسمه كلها من عناصرها إجمالاً، ومن زرعها يأكل، ومن مائها يشرب، ومن هوائها يتنفس، وهو ابنها وهي له مهد، وإليها يعود جثة تطويها الأرض، ورفاتاً يختلط بترابها، وغازاً يختلط بهوائها، ومنها يبعث إلى الحياة الأخرى، كما خلق في النشأة الأولى»[١٠]

وبين الحق تعالى أن كل ما في هذا الكون يسير وفق نظام دقيق ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾[١١] وأودع هذه الأرض القدرة على تلبية حاجات هذه المخلوقات جميعاً، وأودع هذه المخلوقات القدرة على حصول رزقها من هذا المودع في الأرض .

ومع تقدم العلم وتطوره، تتضح أهمية البيئة أكثر فأكثر، حيث يؤكد العلم دور البيئة في تكوين الإنسان[١٢] ونشأته وسلوكه وذكائه بل على الأحياء كلها، حتى قالوا: إن الإنسان ابن بيئته الطبيعية والثقافية والاجتماعية، وهذا يدل على عمق التأثر بها والتأثير فيها : ﴿ والبلد الطيِّب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ﴾ [١٣]

والشرع يؤكد تأثر الإنسان بالبيئة، قال تعالى: ﴿ ..ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها.. ﴾ [١٤] وقوله تعالى: ﴿ ياليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً ﴾ [١٥] وأكد الرسول - ﷺ هذا المعنى بقوله « وما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء »[١٦] والنبي - ﷺ اختار بيئة صالحة لدعوته وهي المدينة .

وأما التأثير المادي فمعروف لدى الجميع من حيث تأثر الإنسان ببيئته في عاداته وتقاليده ، ونشاطه وخموله، ولونه وطبائعه ، وخشونته ونعومته ، ﴿ أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ﴾ [١٧] وغير ذلك من الصفات، التي تعد من الأمور الواضحة لدى العلماء قديماً وحديثاً.[١٨]

الفصل الأول

أهم مشكلات البيئة (قضاياها)

أ - التلوث :

وهذه المشكلة من أعقد مشكلات البيئة بحيث إذا أطلقت لا يكاد الناس يعرفون سواها، وكل من يتناول البيئة لابد أن يتناول هذه المشكلة كمعضلة العصر.

ومنذ وجد الإنسان على الأرض وهو يمارس أنشطته المختلفة من طبخ وحرق وحرب وتشييد وبناء، وصيد وزراعة وتنقل بوسائله المعروفة، وغير ذلك من الأنشطة .. وهذا يعني أن التلوث قديم، وهو يؤثر بالتالي على العوامل الحيوية وغير الحيوية بحكم أنها من مكونات البيئة ، ولكن أقصد بالتلوث معناه الأقل خطراً، وهو إلقاء نفايات تفسد جمال البيئة ونظافتها، سواء على الأرض أو في المياه ، أو قطع للأشجار، فكلها ممارسات مقبولة لا تهدد البيئة.

أما التلوث بالمفهوم العلمي المعاصر فهو يعني حدوث تغير وخلل في مكونات البيئة الحية وغير الحية، بحيث يؤدي إلى شلل في النظام الأيكولوجي، أو يقلل من قدرته على أداء دوره الطبيعي في التخلص الذاتي من الملوثات التي نتجت لعوامل كثيرة طبيعية وصناعية أقصد بفعل الإنسان ومنها: الثورة الصناعية وما نتج عن ذلك من آلاف الأطنان من الدخان والغازات السامة التي تخرج من المصانع، إلى الأسلحة العسكرية والقنابل النووية، والاشعاع النووي، إلى التوسع العمراني ومشاكله التي لا تحصى، ومنها القضاء على اللون الأخضر والتوسع الزراعي، والإسراف في استعمال المخصبات والمبيدات، كل هذه العوامل وغيرها أدت إلى

وصول العالم على حافة الإنهيار، نتيجة تلوث الطعام والشراب، والبحار والأنهار والتربة التي هي مصدر رزقه، وتلوث الهواء الذي أدى إلى خلل في طبقة الأوزون التي تحمي الإنسان من أخطار الأشعة فوق البنفسجية التي تضر بصحته.

وتبع ذلك ارتفاع درجة حرارة الأرض، ثم ارتفاع مستوى سطح البحر نتيجة ذوبان الجليد في القطبين، كما تسبب تلوث الهواء في هطول الأمطار الحمضية التي تسبب في أضرار اقتصادية جسيمة لكثير من الدول، وزادت معها مشكلة الفقر تعقيداً، وما تبع ذلك من انتشار الرذيلة، التي تسبب في مشاكل أسرية واجتماعية وأخلاقية وعضوية بما كسبت أيدي الإنسان المعاصر، حتى أصبحت صيانة البيئة تحتاج إلى مليارات الدولارات، وإلى جهود مستمرة وجادة وتكاتف دولي لسنوات طويلة. (١٩)

ب - الإخلال بالتوازن البيئي :

يؤكد العلماء اليوم أن البيئة بمحتوياتها المختلفة تشكل نوعاً من التوازن البيئي من جميع العناصر الموجودة فيها، فتلوث عنصر ما، يؤدي إلى تلوث بقية العناصر. فمثلاً تلوث الهواء يؤدي إلى هطول الأمطار الحمضية التي تلوث التربة والأشجار والبحار والأنهار، وانجراف التربة إلى المصادر المائية، كما يؤدي هذا التلوث إلى الإخلال بالتركيبة الداخلية الدقيقة لهذه العناصر، وبالتالي تظهر آثاره السيئة على البيئة، وإذا علمنا أن «حضارتنا أصبحت فجأة قادرة على التأثير في بيئة العالم كله وليس في مساحة معينة فقط» (٢٠) استطعنا أن ندرك حجم الأخطار المحدقة ببيئتنا ، كما قال آل جور، ويقول عن تلوث الهواء بالغازات السامة: «فهي لم تحدث في الدول المنتجة لهذا الغاز، وإنما انتشر في الهواء فوق كل البلدان وفي

كل الحيز الذي يمتد بين الأرض والسماء» [٢١]، وأن هذا سيؤثر فعلاً في النظام الايكولوجي العالمي، وما ينجم عنها من أخطار يعتبر في أساسه أخطاراً استراتيجية» [٢٢] «وما لم نصل إلى طريقة نغير بها حضارتنا وطريقتنا في التفكير فيما يتعلق بالإنسان وعلاقته بالأرض، فإن أولادنا سيرثون أرضاً خراباً» [٢٣]

أو كما قال توفلر: «... إننا ندمر هذا الكوكب كمكان صالح للحياة البشرية نتيجة الاستخدام غير المسؤول للتكنولوجيا..» [٢٤]

أما المسلم فعندما يقرأ قوله تعالى:«وخلق كل شيء فقدره تقديراً» [٢٥] يدرك أن عناصر هذا الكون تخضع لقانون التوازن، لو اختل قيد أنمله لانفرط عقد هذا الكون البديع، ويعلم أن الله تعالى جعل هذا الكون ممهداً للحياة فيها والنماء وأن هذا الكون مر في أطوار حتى صار مهداً للإنسان ومن خلال هذه الأطوار تغير سطحه من يابس صلد إلى تربة صالحة للزراعة، وتكون على سطحه الماء من اتحاد الأيدروجين والأكسجين، واتأد في دورانه حول نفسه فصار يومه بحيث يسمح باعتدال حرارته وصلاحيتها للحياة، وصارت سرعته بحيث يسمح باستقرار الأشياء والأحياء على سطحه وعدم تناثرها وتطايرها في الفضاء وأحاطه بالغلاف الجوي لحفظ الهواء الذي يسمح بالحياة ، وهذه الجاذبية التي تحفظ الأشياء من التطاير والتناثر وفي الوقت ذاته تسمح بحركة الإنسان والأحياء على سطح الأرض، ولو زادت الجاذبية عن القدر المناسب للصقت الأشياء والأحياء بالأرض وتعذرت حركتها، ولو زاد ضغطها لسحق من على الأرض ولو خف الضغط لانفجر الصدر والشرايين، كما أن كتلة المياه الضخمة تمتص الغازات السامة التي تنشأ من التفاعلات الكثيرة التي تحدث على سطحها .. ومنها أنه جعل من النبات أداة

للموازنة بين الاكسجين الذي يستنشقه الأحياء ليعيشوا به والأكسجين الذي يزفره النبات في أثناء عمليات التمثيل التي يقوم بها ولولا هذه الموازنة لاختنق الأحياء بعد فترة من الزمان. [٢٦]

فكل شيء فيه موزون ، وبقدر ، وكل له دوره بحيث إنها في مجموعها تعمل على التوازن بين مختلف عناصر الكون، فالحيوانات تساعد على خصوبة التربة، إما بخلخلة التربة بسيرها وتهويتها وزيادة قدرتها على امتصاص الماء أو بمخلفاتها لتسميد الأرض .

كما تعمل الحيوانات المفترسة على مراقبة وضبط أعداد الحيوانات الضارة والحفاظ على توازن النظام الأيكولوجي البري، أما الطيور فتعمل على نقل حبوب اللقاح بين النباتات والقضاء على القوارض والحشرات الضارة..

وهناك توازن في المخلوق المستخلف في الأرض بين كونه مخلوقاً مكرماً من قبل الخالق ﴿ ولقد كرمنا بني آدم.. ﴾ [٢٧] وبين كونه مخلوقاً ضعيفاً ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق.. ﴾ [٢٨] والضعف والتكريم هما عنصرا التوازن في المخلوق المستخلف في الأرض، فلو لم يعرف إلا الجانب الأول لعاش خنوعاً تحت طغيان الآخرين، ولو لم يعرف إلا الجانب الثاني لسكر بنشوة تلك الصفة، وكان سبيلاً إلى التكبر [٢٩] والطغيان على الآخرين، آفة حضارتنا نتج عنه الإفساد في الأرض، فحياته مبنية على التوازن ﴿ كيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم..﴾ [٣٠]

ونخلص مما سبق في مبحث الاختلال بالتوازن أن الإسلام عرف قانون التوازن البيئي منذ أكثر من أربعة عشرة قرناً من الزمان، وقد فهم المسلمون من مثل قوله

تعالى ﴿ وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾ [٣١] أن كل موارد البيئة الحية (كالحيوان والنبات) وغير الحية كالهواء والماء والتربة، كلها تخضع لقانون التوازن، فكان منهجه فيه الوسطية من عناصر الكون، فسبحان من أحاط بكل شيء علماً.

ج - الإسراف :

نعلم أن الله تعالى سلّم هذا الكون للإنسان المستخلف، وهو مجهز بكل ما يحتاج إليه لتعميره، وكل ما فيه مهيء لخدمة هذا الإنسان، ولذا مارس منذ اللحظة الأولى أنشطته المختلفة على هذه الأرض وهو يستخدم ماءها وترابها ونباتها وحيوانها، لإشباع حاجاته المختلفة.

وبتطور الحياة ووسائلها زادت متطلباته، وزاد هو من سرعته في اللهث وراء متع الحياة وراءه دوافع مختلفة، ولم يقف طمعه عند واديين من ذهب بل طلب ثالثهما، وزاد طمعه وشط بخياله إلى آفاق بعيدة حتى وصل إلى ما عليه اليوم من مدنية وحضارة لاتفهم غير لغة الأرقام

مدنيـــة لكنهـــا جوفـــــاء وحضارة لكنهـــا أفيـــــاء

سيطر عليها الطمع والأنانية والبحث عن المتعة المجردة من كل قيد، ووصل في تصرفه حد الإسراف وهو تجاوز الحدّ في كل فعل يفعله الإنسان، وسواء كان باعتبار القدر أو الكيفية فهو سرف، لذا قال سفيان: ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلاً، ويتناول المال وغيره ﴿ إن المسرفين هم أصحاب النار ﴾[٣٢] أي المتجاوزين الحد في أمورهم [٣٣].

ولما كان الله تعالى قد خلق مصادر البيئة المختلفة من إنسان وحيوان ونبات وجماد بحيث تشكل في مجموعها منظومة تكاملية، تعمل على تحقيق التوازن الأيكولوجي اللازم لبقاء الوسط الحيوي والطبيعي وتجدده المتواصل.

فإن هذا يعني الاعتدال والترشيد في استخدام المصادر البيئية ، لأن المال مال الله ، وهو مستخلف فيه، عليه مراعاة حق الاستخلاف بمقتضى الأمانة وإيصالها لمن بعده لأنها حق للجميع وفي الحديث المسلمون شركاء في ثلاث : في الماء والنار والكلأ»[٣٤] إشارة إلى المصادر الطبيعية العامة ﴿ وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾[٣٥] وهذا يقتضي الاعتدال في الاستخدام ، والاكتفاء بما يفي بالغرض ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ [٣٦] فلا يجوز لدولة ما، تحت أي مبرر أن تستحوذ على الثروات المشتركة، وتغلب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة دون أي اعتبار لما يصيب الآخرين من أضرار ممن كان لهم حق الانتفاع بها.

ومع ما في الإسراف من جحود بالنعمة، ومخالفة لما أمر الله تعالى به فهو تعطيل لمهمة تلك الموارد الطبيعية، وفي تعطيلها تعطيل للحياة الإنسانية التي تتوقف على وجودها، لذا يكون هذا النوع من الإسراف محرماً ﴿ وأن المسرفين هم أصحاب النار ﴾ [٣٧] وقد رأينا فيما سبق كيف أن الإسراف أخلّ بتوازن موارد البيئة بعناصرها كلها، وخصوصاً المياه، حتى إن بوادر الحرب القادمة بدأت تلوح في الأفق، وأنها ستكون حرب المياه العذبة، وخصوصاً مع تزايد السكان، وقلة الأمطار بسبب التغير المناخي، والإسراف في استعماله مما ينذر بالتناقص المستمر والنفاد في نهاية المطاف.

كما لم تسلم المياه المالحة بسبب التلوث والاستنزاف الجائر في الصيد الذي لا يتناسب مع قدرة الأسماك على التكاثر، وقد أكدت التقارير العلمية على حدوث

استنزاف في الثروة السمكية، إضافة إلى تعرض بعض أنواع الأحياء المائية لخطر الانقراض. لذا بدأت دول العالم في التعاون المشترك لوضع قوانين لحماية البيئة البحرية والثروة السمكية[٣٨].

د - الجشع والطمع :

من الأمور التي أدت إلى فساد البيئة التهالك على الدنيا، حيث «إن ما طبق من التكنولوجيا طبق بغباء وأنانية وتسرع قصد منه اجتلاب التكنولوجيا من أجل الربح الاقتصادي العاجل، مما أدى إلى تحويل البيئة إلى خليط مادي واجتماعي سريع الالتهاب» [٣٩] وخصوصاً في مجتمع يجعل المادة إلهاً ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ [٤٠] ونمّى في الإنسان هذا الجانب وألغى الجوانب الأخرى فيه، وصار شعاره: الغاية تبرر الوسيلة، فكل طريق يوصل إلى الثروة فهو مشروع دون اعتبار للقيم أو تضرر الغير، لأن الأنانية وحب الذات هو المسيطر حيث يقول أحدهم: أنا ومن بعدي الطوفان، والمبدأ الذي تسير عليه الدول الغربية: ليس لأمريكا (مثلاً) أصدقاء دائمون، ولكن لأمريكا مصالح دائمة، هكذا الحياة في ظل طغيان المادة تتحول إلى بحر تأكل السمكة الكبيرة السمكة الصغيرة.

وقد رأينا كيف أن المتمتعين في العالم ممن تقدر ثرواتهم بالمليارات لا يتجاوزون المئات على حين أن ثلثي سكان الأرض يعيشون في فقر مدقع.

وهذا السلوك غير السوى أدى إلى إفساد البيئة بسبب جعل الأموال والثروات دولة بين الأغنياء وحرم منها الفقراء فظهرت الأمراض والاضطرابات التي تزيد البيئة فساداً، بحيث أصبح وجود الإنسان مهدداً بالفناء، كما أن الجشع الداء الذي أهلك الأمم السابقة، ومن نتائج الجشع التوسع الزراعي القصير النظر والتوسع الصناعي الذي قصد به الربح العاجل والذي سبب دمار البيئة .

وإذا أرادت البشرية النجاة فلتعد إلى منهج الله ورسوله : ﴿ .. استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ [٤١] وقد حذرنا النبي ﷺ من التنافس في الدنيا إلى الحد الذي يعبد الإنسان عجل الذهب ولا يشبع نهمه منه، فقال:(فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم) [٤٢]

فالإنسان مهما بلغ علماً أو ثراء يكون مرتكساً في حمأة الأرض أسير شهواته لايفك قيده إلا الإيمان بالله القائل ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ [٤٣] .

هـ - فساد الإنسان :

أرى أن فساد الإنسان يأتي في مقدمة تلك المشكلات إذ أنها جميعاً نتيجة فعله، وبما أن الإنسان يولد وسط بيئة يحيط به الناس من مختلف الطبقات والأشكال والألوان : الجسمية والفكرية والعقدية ، ومن هذا الوسط يقتبس سلوكه، والقيم التي يرثها ويسير بها حياته ، فإن كانت هذه القيم إيمانية سليمة رقى ببيئته، وعاش معها في سلام ووئام ، وهو النوع الذي يجعل الكون كله محراباً لعبادته التي لا ينقطع عنها، سواء كان في مصنعه أو متجره ، أو مزرعته ، أو في مركبه أو في بيته أو مسجده، فهو في عبادة متصلة ، وهو الذي ينتفع به العباد والبلاد وتبكي لموته الأرض والسماوات.

وأما الذي ينشأ في بيئة سيئة فإنه يحمل عادات وأفكاراً وسلوكيات خاطئة، وهو الذي يكون في صراع مع البيئة، وهو الذي عبر عنه الحديث الشريف (بمستراح منه) أي يستريح من فساده العباد والبلاد، لأنه كان يهلك الحرث والنسل، وهذا

النوع هو الذي جلب على البيئة الخسائر المادية والمعنوية، والأمراض الفتاكة، والمشاكل الاجتماعية والأسرية، وانتشار الجرائم على المستوى المحلي والدولي، والتي لا تقتصر أضرارها على البيئة، وقد تحدثت مقدمة سورة الفجر عن شيء من هذا، وكان علاج هؤلاء في قوله تعالى : ﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب.. ﴾[٤٤].

وارتباط أداء البيئة لرسالتها واضح في القرآن الكريم في آيات كثيرة ونماذج مختلفة، قال تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض.. ﴾ [٤٥]

كما ذكر لنا قصة سبأ وبلدتهم الطيبة ورزقهم الوفير، لكنهم بمعصيتهم بدلهم الله بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ومن يتأمل آثار التلوث في عصرنا لا يحتاج إلى عناء كبير لفهم هذه الآيات.

وفي الحديث: (إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) [٤٦].

كما بين النبي ﷺ بعض الآثار البيئية الخطيرة المترتبة على بعض المعاصي ومن ذلك قوله ﷺ : «خمس خصال إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة ، وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم ، فيأخذ بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم» [٤٧]

وفي مثل هذا الصنف يصدق فيهم قول الحق تعالى : ﴿ وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [٤٨].

وقد أفاق الإنسان المتحضر أخيراً ليدرك فداحة ما جنت يداه نتيجة فساده وإفساده، وهناك مئات الكتب والبحوث المنشورة حول دور الإنسان في إفساد البيئة وإن من يقرأ كتاب «الأرض في الميزان لنائب الرئيس الأمريكي ال جور»[٤٩] يرى حجم الدمار الذي سببته الحضارة الحديثة في مجال التلوث البيئي، وما نشأ عنه من اتساع رقعة التصحر، وتجفيف البحيرات والبحار المغلقة، وموت الآلاف من الأحياء المائية نتيجة الاشعاعات النووية.. وحطام السفن والطائرات التي تجرفها الأمواج إلى الشواطيء مما يشكل تحذيراً جديداً من أخطار خفية تتربص بنا، إضافة إلى التغير الذي أصاب الغلاف الجوي مع الثورة الصناعية .. وتناقص سمك الغطاء الجليدي قد تشكل كارثة.. ومن المخاطر تلوث المياه والهواء وتجاوزه حدود الإقليمية إلى العالمية.. ويقول: إن حضارة الإنسان هي السبب الأول للتغيير في بيئة العالم ومع ذلك فنحن ننكر ذلك، وإن الصورة المفزعة للدمار البيئي التي تجتاح العالم اليوم قادرة على إحداث صدمات توقظنا من سباتنا، ويقول في موضع آخر: وفي كثير من الدول يعتبر الفساد واحداً من أهم الأسباب الرئيسة وراء حدوث الدمار البيئي[٥٠] ويعزى سبب الفساد إلى بُعد الإنسان عن الله تعالى [٥١].

ويقول بأن الشواهد على هذا الضياع الروحي كثيرة، فالمرض العقلي، وتعاطي المخدرات، والكحوليات، وحوادث الانتحار، وجرائم القتل .. نتيجة الشعور بخواء حياتهم .. ويقول: بأن الله أعطى هذا السلطان للإنسان على الطبيعة ضمن الشرعية الأخلاقية[٥٢].

وعرفنا كيف أن النظام الشيوعي الذي حكم الدولة بالحديد والنار، حتى البيئة مورس معها كل أنواع التعدي، نتيجة نظرتهم المادية الضيقة التي تسببت في تلوث الهواء والماء والأنهار والأشجار مما أثر على الصحة وكثرت عندهم الأمراض، حتى اعترف الرئيس جورباتشوف سنة ١٩٩٠ بقوله : بأننا في الاتحاد السوفياتي لم نفهم إلا مؤخراً الأهمية القصوى للمشكلة البيئية.. ومثله قال رئيس سلوفاكيا فاسليف هافل: «.. واليوم نحن نملك أسوأ وأقذربيئة في أوروبا» [٥٣] وأفهم من هذا الكلام أن الطريق إلى الأمن القومي يمر من خلال الأمن البيئي.

وإذا علمنا أن الله تعالى جعل علاقة الإنسان بالكون علاقة صداقة ومودة لينعم بالدفء والاطمئنان في حضنه، وإذا بالإنسان يحول تلك النعمة إلى نقمة، والصداقة إلى عداوة وغدر وخيانه، حتى أصبح الكون خطراً (بالتلوث) يهدد ساكنيه بالدمار في أي لحظة نتيجة إفساد الإنسان فيه، فسيطر عليه الخوف والقلق والتوتر، ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ﴾ [٥٤].

و - الأضرار المادية والاقتصادية :

كان أشد أنواع التهديدات قديماً هو التدخل العسكري ، وما يجلب على البلاد من كوارث ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [٥٥].

وبتطور الحياة ظهرت تهديدات كثيرة جداً ومتنوعة، لا تقل خطورة عن تلك المشار إليها في الآية الكريمة، ومنها الانهيار الاقتصادي «ماليزيا، أندونيسيا، الأرجنتين، البرازيل، والاتحاد السوفياتي..

وقد تحدثنا فيما سبق عن العناصر المكونة للبيئة وما بينها من تشابك وتكامل وتوازن، بحيث إن الإضرار بأحدها إضرار بالبقية، ومن ذلك أن هناك علاقة بين الغابات والسحب المطيرة، وأن تدمير الغابات يسبب تناقص الأمطار، فالغابات أهم سمة معززة للاستقرار والتوازن لسطح الكرة الأرضية، وهي التي تحمينا من الآثار الضارة لأزمة البيئة، ففي إحراقها وتعرية الأرض منها تعريض للنوع الإنساني للخطر[٥٦].

كما أن تلوث الهواء بدخان المصانع وعوادم السيارات والإشعاعات الذرية، وغير ذلك من العوامل الصناعية والطبيعية يؤدي إلى الإخلال بالتوازن الذي أوجده الله تعالى في الكون ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ [٥٧] ومن ثم إلحاق الضرر بكل العناصر الأخرى الحية وغير الحية، فقد أكد العلماء أن تلوث الهواء يضر بصحة الإنسان ويؤدي إلى إصابته بأمراض الجهاز التنفسي والعيون والسرطان إلى التشوهات الخلقية التي تتوارثها الأجيال، كما يضر المباني والمعدات نتيجة الصدأ والتآكل، كما يتضرر منه النبات ويقلل من نموه .

وأبرز أخطار تلوث الهواء هو تأثيره الضار على المناخ نتيجة الاشعاعات الذرية والانفجارات النووية والبركانية، وأنواع أخرى من الغازات السامة أدت إلى تكسير في طبقة الأوزون التي تحيط بالأرض، وهي بمثابة الدرع الواقي من الأشعة فوق البنفسجية التي تضر بالحياة على الأرض، فيضر بالإنسان والحيوان والنبات والأحياء المائية، إضافة إلى أن الارتفاع الحراري المتوقع، وتغير أنماط هطول الأمطار يقضي على مساحات ضخمة من الأراضي الزراعية التي تتحول إلى أراض عشبية، كما يؤدي إلى إغراق الأراضي الزراعية الساحلية، وتهجير سكانها الذين

يقدرون بالملايين، سيحتاج إلى تغيير وتعديل نظم الري الذي يكلف نحو(٢٠٠) مليار دولار[٥٨] ، وإذا كان تعديل نظم الري في العالم يكلف هذا المبلغ الخيالي، فكم تقدر تكاليف حفظ البيئة الطبيعية لمنع فقدان التنوع البيولوجي، وكم يكلف اصلاح طبقة الأوزون ، وتعويض خسائر الانتاج الزراعي ومقاومة التصحر.. ووقف ذوبان الجليد في القطبين لتسببه في ارتفاع مياه البحار، وكم يقدر تكاليف حماية البيئة الحية من الأضرار الناجمة عن طبقة الأوزون، وإعادة التوازن الإيكولوجي للطبيعة .

وإذا كان الجواب بأن إمكانية ذلك يعد نوعاً من المستحيل، فلا تستغرب بأن تدهور البيئة يؤدي إلى زعزعة الأمن الداخلي، وعدم الاستقرار الاقتصادي، بل يكون عاملاً حاسماً في سقوط أكبر الأمبراطوريات مثل الاتحاد السوفياتي نتيجة تدهو البيئة وتأثير ذلك على أنشطة الناس وسلوكياتهم وصحتهم ، حيث لا يمكنهم العطاء والتواصل في ظل هواء ملوث، وطعام ملوث، وماء ملوث، وبيئة ملوثة، فبرك الإنسان السوفياتي، وبركت معه الأمبراطورية الضخمة، واستيقظ جورباتشوف ليقول: «إن عليّ أن أقر بأننا في الاتحاد السوفياتي لم نفهم إلا مؤخراً الأهمية القصوى لمشكلة البيئة..»[٥٩]

الفصل الثاني

الشريعة والبيئة

تمهيد :

الإنسان والكون :

إن دور المسلم في حماية البيئة والمحافظة عليها يأتي من نواح مختلفة تتمثل في الامتثال للخالق في تنفيذ أوامره، ومنه ما يحفظ البيئة وفي اجتناب نواهيه، ومنه ما يضر بالبيئة، ومن كونه جزءاً من هذا الكوكب المخلوق لخالق واحد، فالعلاقة حميمة وودية، ومن حيث إن الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله في كل شيء، ومنه التعاون على حماية البيئة، والسعي في إزالة الضرر عنهم بنفسه وماله، وتنفيذاً لأوامر الرسول -صلى الله عليه وسلم- وإرشاداته في البيئة، ومنها أن من أفضل الأعمال: إماطة الأذى عن الطريق[٦٠] .. فالكون إذاً مسخر لخدمته وهو جزء من هذا الكون، وكلاهما يخضعان للخالق الأعظم سبحانه.

المبحث الأول

دور القيم الإسلامية في حماية البيئة

إن من المباديء التي سبقت بها الشريعة الإسلامية كل القوانين السابقة واللاحقة في حماية البيئة، أنها نظرت إلى الإنسان أنه العنصر الأساسي في هذا الكون وهو في الأرض بمنزلة القلب من الجسد، فإذا صلح صلح كل شيء وإذا فسد فسد كل شيء.

ولذا نبه إلى منزلته وأنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وأنزله إلى الأرض لعبادته، وطلب إليه تعميرها وفق منهج وضعه له، وعلمه إياه على يد رسله وبين أن صلته بهذا الكون صلة مودة وصداقة ووفاء فقال : ﴿ فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ [٦١] وأنه جزء منه : ﴿ إنا خلقناكم من تراب﴾[٦٢]

وأن ما في الكون مسخر له ﴿ وسخر لكم ما في السموات والأرض جميعاً منه ﴾ [٦٣] وامتن عليه بكل ما في الأرض ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ [٦٤].

وبين له أنه الوصي على هذه البيئة المستخلف على إدارتها، وليس مالكاً مطلقاً لها : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [٦٥] وكلمة الخلافة تعبر عن وجود علاقة بين المستخلف من جهة الإنسا ن، وبين المستخلف وهو الله من جهة أخرى ، وكذلك عن علاقة بين الخليفة والإنسان ، وبين ما استخلفه الله عليه في الأرض وسخره له ، فكأن الخلافة عبودية لله من جهة وسيادة على الكون من جهة أخرى، ولكي يحقق سيادته على الأرض، يجب أن يحقق عبوديته ، أولاً لله تعالى وينفذ أوامره ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ [٦٦].

وربى فيه ملكة المراقبة الدائمة لله تعالى، وأن الله تعالى لا تخفى عليه خافية، ويعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور، ووضح النبي ﷺ هذا المعنى في قوله :(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [٦٧]

ولما كان من طبعه النسيان، ثم العصيان، فقد فتح له باب الاستغفار حتى لا ييأس المسيء إلى البيئة، فقال تعالى: ﴿ واستغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾ [٦٨] ، وفي هذا رفع لمعنوياته، وإعادة تأهيله ليتمكن من القيام بدوره فى تعمير الأرض .

ولما كانت البيئة بمعناها الواسع تشمل كل ما يحيط بالإنسان، فقد جعل الشارع مسؤولية الحفاظ عليها مشتركة : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ [٦٩] لأن إفساد البيئة في أي جزء منها، كارثة تحل بالجميع، بعد أن أصبح الفساد البيئي لا تحده الحدود الجغرافية ولا السياسية، فجعل المحافظة عليها وصيانتها مسؤولية الجميع.

وإذا علمنا أن العلم الحديث ينظر إلى الكون على أساس التطور المادي، وأنه تكون [٧٠] من غاز الأيدروجين، وأنه خلق من عدم مطلق، وكذلك الشمس وكوكبنا تكون نتيجة كتلة سديمية تناثرت وكونت شموساً منها شمسنا وكوكبنا.. إلى غير ذلك من الفرضيات، إذا تبين لنا ذلك المنطلق المادي البحت للعلم اتضح لنا مقدار الهوة بين النظرتين، النظرة المادية للكون، والنظرة الإسلامية التي تجعل الإحسان إلى البيئة جزءاً من عقيدة المسلم والإنسان جزءاً من الأرض، وأنه والكون من مخلوقات الله تعالى.

وإن من يتأمل أحاديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- يرى كيف اهتم النبي ﷺ بالبيئة من خلال جذوة العقيدة المتقدة، ومن خلال القواعد الأخلاقية التي يجب أن تحكم ساكنيها .

ويرى كيف أن السنة المشرفة، سبقت واضعي القوانين البيئية بمئات السنين في وضع أفضل القواعد وأشملها لحماية البيئة، بحيث لو سار الإنسان على نهجها لحافظت البيئة على اتزانها، والمياه على نقائها، والأشجار على رونقها وبهجتها، ولعاشت الحيوانات الأليفة والبرية في أمن وأمان من جانب الإنسان، وبهذا نضمن السلامة لبيئتنا ولنا ولأجيالنا القادمة .

المبحث الثاني

وسائل حماية البيئة

بالتأمل فيما جاء به الإسلام في هذا المجال، فإنه يمكننا القول أن وسائل حماية البيئة في الإسلام نوعان: الأول وقائي؛ والثاني علاجي .

والوقائي ينقسم إلى نوعين : وسائل مادية ، وأخرى معنوية، وأما النوع الثاني فهو العلاجي، وأقصد العقوبات الرادعة التي وضعها الشارع لمن تسبب بالإضرار إلى البيئة ، ولنشرع في بيان القسم الأول ، وهو الوسائل الوقائية .

علمنا كيف أن الإسلام وثق الصلة بين الإنسان وبيئته، وبناها على المودة والصداقة والوفاء، وجعل الإحسان إليها مما تمليه عليه عقيدته لأن الإسلام عقيدة وشريعة، ودين ودولة، ومصحف وسيف.وآخى بين العقل والقلب، وجمع بين الدنيا والآخرة، لذا جاءت أحكامه شاملة، تنظم سلوك الإنسان في كافة أمور الدين والدنيا، بما يصلح لكل زمان ومكان، ومن ذلك الأحكام التي جاء بها لتنظيم سلوك الإنسان في تعامله مع البيئة.

وهذا يعنى أن ما جاء به الإسلام من مباديء في مجال حماية البيئة ، سبقت في شمولها وسموها التدابير التي قامت بها الجمعيات واللجان المختلفة على مستوى العالم ، سواء على المستوى الوطني أم الدولي، ورغم انتسابها جميعاً إلى الدول المتقدمة صناعياً أو الرافعة لواء المدنية والحضارة، فإن تشريعات الإسلام في هذا المجال يعد سبقاً في شموله وسموه وتنبؤه المبكر قبل أكثر من ألف وأربعمائة

سنة بهذه المشكلة ، وتفرده في الجمع بين العقل والقلب والروح والبدن - لم يسبق إليه ، وبهذا يكون الإسلام أول من يقوم بربط تعاليم البيئة بعقيدة الأمة، للاستفادة من تأثيرها في إلزامهم باتباع التعاليم البيئية ألا يدعو ذلك عقلاءهم أن يقولوا ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك ﴾ (٧١)

بينا فيما سبق أن البيئة في معناها الواسع تشمل المحيط الذي يحيا فيه الإنسان بكل أبعاده المادية والمعنوية، والطبيعية والاصطناعية. لذا أذكر هنا المباديء والأسس التي جاء بها الإسلام للحفاظ على البيئة ودفع الضرر عنها، لكي تتمكن من أداء دورها ، وليتمكن الإنسان من أداء رسالته على الوجه الأكمل، وليمكن أيضاً تسليم هذه الأمانة إلى الأجيال المقبلة الذين لهم الحق في أن يرثوا بيئة سليمة وصحية.

الفرع الأول : الأمر بالنظافة:

إن اهتمام الإسلام بالنظافة تأتي من اهتمامه بسلامة البيئة مما ينغص على الإنسان حياته، ويقلل من دوره في تعمير الكون،

وللإسلام السبق كما قلنا في ربط قواعد المحافظة على البيئة بعقيدة الأمة خصوصاً فيما يتعلق بالنظافة التي تعنى منع التلوث، وهو قضية العالم اليوم حشدت لها جيوش العلماء وانفقت عليها مليارات الدولارات، ولا تزال تلك الجهود دون المستوى المطلوب لحماية البيئة.

أما جهود الإسلام فلا تحتاج إلى المليارات التي ترهق خزينة الدولة ولا إلى هذا الحشد من العلماء الذين يخططون وهم في معزل عن الناس. فلو اتبع الناس

مباديء الإسلام في حماية البيئة، لوفروا تلك الأموال ولوجهوا تلك الجهود لمزيد من تعمير الكون، وهي تتلخص في الأمر بالنظافة الداخلية والخارجية.

أما الداخلية [٧٢] فنعنى به تطهير الجنان من الشرك والحقد والحسد والسخط من القضاء والقدر وسائر الصفات الذميمة عن طريق تعميق الإيمان الكامل الذي من شرطه الإيمان بالقضاء والقدر، خيره وشره، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وبأن البشر لو اجتمعوا على أن ينفعوه ، فلن ينفعوه إلا بشيء كتبه الله له ، وإن اجتمعوا على أن يضروه ، فلن يضروه إلا بشيء كتبه الله عليه .

وهذا يبعد عنه أمراض العصر المستعصية مثل القلق والتوتر العصبي والاجهاد الذهني، وآثارها المدمرة على الفرد والمجتمع ، مثل اليأس والانتحار، والاعتداء والغدر، أو اللجوء إلى الخمر والمخدرات .

ولما كان الإيمان يتعرض في بعض الأحيان للمد والجَزْر، فإنه يمكنه تدارك ذلك بالتوبة الصادقة والاستغفار الذي يجلي القلب كما يجلي النار خبث الحديد.

وأما النظافة الخارجية، فتبدأ من الإنسان نفسه كأصغر نقطة في البيئة وما حوله، إلى أن يصل إلى البيئة الشاسعة التي لا حدود لها.

ويتمثل ذلك في أمور عدة منها :

أ - **نظافة البدن**: وتشمل نظافة الفم والأسنان والأظافر، والشعر، واليدين، والرجلين، حيث جعل نظافتها مطلباً شرعياً وفي الحديث: (الطهور شطر الإيمان) [٧٣] وشرطاً لصحة العبادة، وفي الحديث مفتاح الجنة الصلاة، ومفتاح الصلاة الطهور) [٧٤]

ولتأكيد نظافة البدن هناك أنواع من الغسل يمارسها المسلم مثل غسل الجنابة والاغتسال من الحيض والنفاس وغسل الجمعة وغير ذلك .

وفي قوله تعالى ﴿ وثيابك فطهر ﴾ [٧٥] دلالات واسعة ومنها طهارة الذات التي تحتويها الثياب وكل ما يلّم بها أو يمسها.. [٧٦]، ولعل في قوله ﷺ (خير ثيابكم البياض) [٧٧] إشارة إلى النظافة .

وفي نظافة الفم ورد الأمر بالسواك كما في الصحيح :(لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) [٧٨] وفي رواية :(السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) [٧٩]

وأما الشعر والأظافر فقد ورد الأمر بتنظيفهما في أحاديث كثيرة، ومنها حديث من سنن الفطرة وفيه عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك واستنشاق الماء، والمضمضة، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء (الاستنجاء).. » [٨٠]

وفي الحديث (من كان له شعر فليكرمه) [٨١]

وكذلك أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بنظافة اليدين قبل الطعام لتنظيفهما من آثار العمل والتلوث وقاية من الأمراض، وأما بعد الطعام لتنظيفهما من بقايا الطعام لكونها وسطاً صالحاً لتكاثر الجراثيم، وفي الحديث (بركة الطعام الوضوء قبله، والوضوء بعده) [٨٢].

ب - **نظافة الطعام والأشربة** : حرص الإسلام على نظافة الطعام والشراب، وأن يكونا بعيدين عن مصادر التلوث، لما في تلوثهما من الأمراض المؤذية، وربما تؤدي

إلى الوفاة، لذا أمر الشرع بإبعاد الأواني عن مصادر التلوث، وغسلها جيداً إذا تلوثت، بحيث لا يبقى عليها أثر للجراثيم .

وفي الحديث :(طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب) [٨٣] وفي هذا وقاية من التلوث من الجراثيم التي تنقلها الكلاب.

وعن ابن عمر: (طهور الطعام يزيد في الطعام، والدين، والرزق) [٨٤].

كما نهى الرسول ﷺ عن شرب الماء ليلاً من إناء مفتوح غير مغطى فقال:(اوكئوا قُربكم، واذكروا اسم الله ، وغطوا آنيتكم) [٨٥].

كما نهى ﷺ عن التنفس في الماء أثناء الشرب لئلا يتلوث فيمرض من يشربه بعده، لأن هذه الطريقة من وسائل انتقال الأمراض إلى السليم من المريض. لذا نهى الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - (أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه) [٨٦] ونهى ﷺ وسلم (أن ينفخ في الطعام والشراب والتمرة) [٨٧].

جـ- نظافة المساكن والشوارع والأماكن العامة : يأمر الإسلام بنظافة هذه الأماكن ، لأن المساكن هي بيئته وبيئة أطفاله، وحمايتهم من التلوث مطلوب شرعاً وطباً، لذا ورد الأمر بتنظيف المسكن كما في قوله -صلى الله عليه وسلم(طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها) [٨٨] ،

وفي رواية : (ولا تتشبهوا باليهود التي تجمع الأكباء (الأوساخ) في دورهم) [٨٩]

وكذلك جاء النهي عن تلوث الطرق لأنها حق للجميع وفي تلويثها إيذاء لهم وإيذاء المسلم حرام شرعاً، فوجب المحافظة على نظافتها، وفي الصحيح (أماطة

الأذى عن الطريق صدقة) [٩٠] ونهى عن التبول والتبرز فيها فقال النبي ﷺ (اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل)[٩١]

وجاءت الأحاديث في تنظيف الأماكن العامة لأنها ملتقى الناس ومراكز تجمعهم، لذا وجب حفظها من التلوث، وفي الحديث (طيبوا ساحاتكم فإن آنتن الساحات ساحات اليهود) [٩٢].

الفرع الثاني: المحافظة على نظافة الماء وعدم تلويثه:

إن الماء في عقيدة المسلم نعمة عظيمة من الله تعالى، وهي أساس الحياة، كما قال تعالى ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ [٩٣] وأول المخلوقات ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ [٩٤]. وشكرها يكون بالمحافظة عليها، وعدم الإسراف فيها، وإبعاد مصادر التلوث عنها، وإلا كان الإنسان خائناً لهذه النعمة، غير مقدر لها، يستحق صرفها عنه.

كما اعتبر الإسلام الماء من الثروات الإنسانية المشتركة ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴾[٩٥] والتي لا يحل التفرد بها دون سائر الناس وقال النبي ﷺ: (الناس شركاء في ثلاث :الماء والكلأ والنار) [٩٦] وفي الحديث أنه ﷺ (نهى عن أن يباع الماء) [٩٧] بينما تشير التنبؤات أن الحرب القادمة هي حرب المياه، وتحاول الدول النهرية، إنشاء السدود لحرمان الآخرين منه. ولنا أن نقارن هذا بهدي الرسول ﷺ حينما سئل أي الصدقة أعجب إليك قال: الماء) [٩٨] وفي الصحيحين: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، وذكر منهم: ورجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل) [٩٩].

وغضب النبي ﷺ على الصحابي الذي أراد أن يمنع إرسال الماء لزرع جاره) [١٠٠]

ومن ناحية أخرى فقد منع الإسراف في الماء حتى من أجل العبادة ، وكان هو القدوة في ذلك حيث كان يتوضأ بمد ويغتسل بصاع) [١٠١] وأمر أصحابه بذلك.

وفي الحديث: أنه ﷺ رأى أحد أصحابه يتوضأ: فقال له :(ما هذا السرف؟! قال : أفي الوضوء سرف؟ قال : نعم ، وإن كنت على نهر جار) [١٠٢]

وإذا كان هذا معيباً في الفرد ويعتبر من قلة العلم، وبداية الوسواس فما نقول في مشكلة تدهور المياه الجوفية نتيجة استخدامها في الشرب والزراعة والأغراض الصناعية بكميات كبيرة تفوق معدلات كمية الأمطار النازلة مما أدى إلى نقصها وزيادة ملحها، وأن الله تعالى : ﴿ ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾ [١٠٣]

فأي تدخل في هذا المقدار يؤدي إلى تلك النتائج التي تعانيها البشرية اليوم من نقص في المياه، والخير في اتباع الرسول ﷺ واستجابة دعوته ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ [١٠٤] معنوياً ومادياً بالابتعاد عن ما يضرنا، ومنه ما يكون نتيجة تلوث المياه ، وخاصة مياه الشرب ، وذلك بالابتعاد عن مصادرتلوث المياه ، ومنها المخلفات الآدمية ، والتي منها التبول والتبرز، وقد اعتبرها الشارع نجسة يجب التحرز عنها، وتزداد خطورته في المياه القليلة الراكدة .

وقد طبق المسلمون تعليمات الشرع عن قناعة تامة وإن لم يدركوا أبعادها.

أما اليوم ، فإن الطب يؤكد خطورة الماء الملوث على الصحة، سواء عن طريق الشرب أو الاغتسال فيه ، في نقل الجراثيم والطفيليات ، ونشر الأمراض ، ومن

وصايا الرسول ﷺ في حفظ المياه من التلوث ، نهيه ﷺ المستيقظ من النوم إدخال يده في الإناء قبل أن يغسلها، فلعله أمسك بيده جزءاً ملوثاً من جسمه، فقال ﷺ (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً ، فإنه لا يدري أين باتت يده) [١٠٥]

وكذلك نهى ﷺ عن الاغتسال في الماء الراكد، حتى لا يتلوث بما يكون على سطح الماء من أوساخ وجراثيم ، فقال ﷺ : (لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب) [١٠٦] ونهى عن تلويث الماء بالتبول فقال : (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه) [١٠٧].

وفي رواية : نهى ﷺ (أن يبول في مستحمه) [١٠٨].

وكذلك نهى ﷺ عن تلويث موارد المياه ، وفي طرق الناس ، وحيث يستظلون، كما في قوله ض اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل) [١٠٩]

وفي عمومات التنزيل بيان بتجنب كل ما يضر الإنسان مثل قوله تعالى : ﴿خذوا حذركم ﴾ [١١٠] وقوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [١١١] وقوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [١١٢].

وبهذا يتضح لنا أهمية الماء في الإسلام، وأنه مفتاح المسلم إلى عبادة ربه، وكذلك هو مفتاح أي حضارة، فقد ظهرت الحضارات المبكرة مع الري، وأفل نجمها مع تدهور نظم الري التي قامت عليها.

وتقول الإحصاءات العلمية اليوم أن المؤشرات في كل أنحاء العالم تشير إلى انخفاض نسبة المياه في كثير من دول العالم، وأن بعضها مهدد بالندرة المتزايدة في

المياه العذبة، وما يتصل بها من الاستخدامات[١١٣].

ولم يقتصر الضرر على مياه الشرب، بل تعداه إلى مياه البحار، حيث ظهر الفساد واضحاً فيه نتيجة آثار ناقلات البترول وسفن الشحن، وتحويل كيماويات المصانع، والصرف الصحي والزراعي، إلى البحار مما أدى إلى انخفاض الصيد مما ضر باقتصاديات البلاد التي تقوم على صناعة الأسماك، وكذلك تأثرت الحياة البحرية بشكل كبير، وتجفيف كثير من الأنهار والبحيرات التي كانت يوماً مصدراً للأسماك[١١٤] ويعتبر المطر الحمضي مصدراً غير مباشر لتلوث المياه والذي أضر بالكائنات الحية في البر والبحر[١١٥].

الفرع الثالث : المحافظة على الهواء :

ينظر المسلم إلى الهواء على أنه عنصر من عناصر البيئة، وهو أحد موارد الثروة الطبيعية المتجددة التي تتوقف حياة الإنسان عليها، فيموت إذا منع منه، ويمرض إن استنشقه ملوثاً.

ويقول العلماء إن الجو مركب من مزيج من الغازات بنسب متساوية كالآزون الذي يخفف من حدة الأكسجين، وكالأكسجين الذي لا غنى عنه للإنسان والحيوان، وغاز الفحم المفيد للنبات، وكل ذلك في توازن عجيب، ولكن الإنسان المعاصر أخل بهذا التوازن بما يجرف من ملايين الأطنان من الفحم، ومشتقات البترول، وتشغيل المصانع، وتسيير أنظمة النقل، وبرش مبيدات الآفات والاشعاع النووي، والغازات السامة كما حدث في تشرنوبل ومدينة بوبال الهندية عام ١٩٨٤م حيث قتل الآلاف، كما أصيب نحو مليون شخص بأمراض مختلفة، إضافة إلى المصادر الطبيعية مثل البراكين، وحرائق الغابات.

ويقول العلماء بأن تلوث الهواء يشكل أخطر التهديدات البيئية لسكان الأرض لعدم استغناء الأحياء عنه، ولأن الهواء أكثر تعرضاً للملوثات من الماء والغذاء، يضاف إلى ذلك أن تلوث الهواء لا يعرف الحدود السياسية أو الجغرافية، وأن ضرره يعم الجميع، كما لا يقتصر على صحة الإنسان، بل يضر البيئة في هطول الأمطار الحمضية، وآثارها السيئة على الأشجار والكائنات الحية، البرية والمائية.

وقدرت الخسائر الناجمة عن تلوث الهواء في أمريكا في عام ١٩٧٠م بنحو ١٢ مليار دولار ، وفي عام ١٩٨٠م بنحو ٢٠ بليون دولار، كما قضت الأمطار الحمضية على نحو ١٦ مليون فدان من الغابات في تسع دول أوروبية.

وإذا كان الهواء بهذه المنزلة بحيث تتوقف الحياة بدونه، وتختل وتضطرب بتلوثه. فإن القواعد العامة التي أشار إليها القرآن من عدم التجاوز لحدود الله، وعدم العبث بمنظومة الكون الدقيق، ومنها أنظمة البيئة الهوائية بأي وسيلة، وتحت أي مبرر، لأن ذلك يؤدي إلى اختلال عام في عناصر الكون كلها وذلك لشدة الارتباط فيما بينها.

لذا ، فإن سبق القرآن الكريم في النهي عن الفساد في الأرض، جاء قانوناً يحمي الإنسان وعناصر الكون الأخرى من خطورة العبث بعناصر الكون، وإذا كان الحفاظ على هذه العناصر من الاختلال لا يكون إلا بإصدار قانون يمنع التعدي على البيئة وخصوصاً البيئة الهوائية فإن هذا يدخل فيما عبر عنه الفقهاء بقولهم:ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وإذا عرفنا أن تلوث الهواء لا يعرف الحدود السياسية والجغرافية وأن ضرره يعم، ولا يمكن للدول الصناعية مثلاً أن تتذرع بأنها تعمل في حدودها الإقليمية،

فهنا يبرز الفقه الإسلامي في قاعدته الذهبية التي تعطى لكل الحق في استغلال المباح والتصرف في ملكه كما يريد، ولكن بشرط أن لا يترتب على هذا أي ضرر على الغير، سواء بالضرر المباشر، أو الضرر غير المباشر:«لا ضرر ولا ضرار[١١٦]» وللدولة اتخاذ كافة الإجراءات الكفيلة بمنع الأضرار بالناس وإزالة المنشآت الصناعية وغيرها من التي تخدم الناس إذا ترتب على وجودها ضرر بالجماعة مثل وجود مصانع للحديد والصلب، أو الأسمنت أو محطات توليد الكهرباء، إذا كان دخانها أو نفاياتها تسبب أذى بالناس والبيئة.[١١٧]

الفرع الرابع : الحفاظ على البيئة النباتية :

أن دور الإسلام لا يقتصر على الجانب العقدي في التعامل مع الأشجار، بل نزل إلى ساحة الواقع العملي حيث جاءت النصوص الكثيرة في فضل الزرع وأجر القائم عليه، وتحريم قطعه دون سبب ومن ذلك قوله ﷺ ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق له منه صدقة، وما أكل السبع فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة»[١١٨] ووضوح الحديث يغنيني عن التعليق عليه.

وفي حديث النبي ﷺ (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)[١١٩].

وسمى محاربة التصحر إحياء الأرض ، وفي الحديث:(من أحيا أرضاً ميتة فهي له)[١٢٠] - وفي لفظ:(من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق)[١٢١] وإن لم يتمكن الإنسان من زرعها فلا يجوز له تركها بوراً، بل عليه أن يستعين بأخيه ليقوم بذلك، وفي الحديث:(من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه)[١٢٢]

وفي المقابل نهى عن تدمير البيئة النباتية، لما في ذلك من الأضرار البالغة ومن تأثير على الجو وعلى الاقتصاد وغير ذلك، وجاء النهي في مثل قوله ﷺ : (من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار) [١٢٣]

وفي وصية الصديق لجنده ما يدل على وجوب المحافظة على البيئة النباتية خلاف ما فعلت أمريكا في حربها مع الفيتنام من إحراق المحصولات الزراعية فمما قاله الصديق: (ولا تعرقوا نخلا، ولا تحرقوا زرعاً، ولا تقطعوا شجرة مثمرة) [١٢٤].

الفرع الخامس : الحفاظ على البيئة الحيوانية :

إن الحديث عن الحيوان في الإسلام لا ينفصل عن عناصر الكون الأخرى، حيث إنها جميعاً مترابطة ومنسجمة معاً، ففي الجانب العقدي يلفت الأنظار ويوقظ قوى التفكير في الإنسان لينظر فيما حوله من المخلوقات التي سخرت لخدمته[١٢٥]، وأن ما من حي في هذه الأرض إلا وهو ينتظم في أمة لها خصائصها وطريقتها في الحياة، كما هو الشأن في الإنسان، وأنه يسير وفق تدبير محكم[١٢٦] ، قال تعالى ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ [١٢٧] وفي النهاية تحشر إلى ربها ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ [١٢٨]

وقد وضع علماء البيولوجيا دراسات متنوعة وعميقة حول سلوك الحيوان ، وعملوا على الحفاظ على الأنواع المعرضة للإنقراض.

وقد سبقهم الإسلام إلى ذلك حيث ورد في السنة أن النبي ﷺ أحب أن تقتل الكلاب في المدينة للتخلص منها، ثم نهى عنه، وقال:(لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها، فأقتلوا الأسود البهيم) [١٢٩].

وهناك نصوص كثيرة تدعو إلى الرفق بالحيوان، وفي الصحيح: في كل كبد رطبة أجر) [١٣٠] بل إن الإحسان إلى الحيوان قد يكون سبباً في دخول الجنة كما في قصة الرجل الذي نزل بئراً وسقى كلباً كان يلهث من العطش فجازاه الله على ذلك بدخول الجنة» [١٣١] كما أن القسوة على الحيوان وتعذيبه ظلم قد يكون سبباً لدخول النار، وفي الصحيحين: (عذبت إمرأة في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) [١٣٢] ونهى عن سب الدابة [١٣٣].

ثم جاء الفقهاء المسلمون ليدونوا ما يتعلق بأمور الحيوان وفق توجيهات الشارع، فتحدثوا عن الرفق بالحيوان، وعدم تحميله فوق طاقته، وعن النفقة عليه والوصية له [١٣٤]، وإذا كان صوفه يدفئه فإنه لا يجزّه [١٣٥]، وعن حكم الجناية على الحيوان، واحراقه، أو تعذيبه وحبسه [١٣٦]، وعن أضرار الحيوان، وتلويثه للطريق العام [١٣٧]، وفي كنز العمال: باب فضائل الحيوانات [١٣٨].

أين هذه المباديء السامية من عبث الذين يقتلون آلاف الطيور مباشرة أو بسبب التلوث الذي هو من صنع أيديهم، حتى أصبحت سلالات عديدة من الحيوانات معرضة للانقراض بسبب التلوث الصناعي، وإن هذه السلالات إذا كانت قد اختفت، فإنها لن تعود إلى الحياة من جديد، وسوف تتحمل البشرية آثار هذا الإفقار الشديد في التنوع البيولوجي، الأمر الذي لابد أن يعرض البشرية لمخاطر كبيرة مستقبلاً [١٣٩].

الفرع السادس : الحفاظ على البيئة البرية :

إن الحديث عن الأرض كأحد مصادر البيئة الرئيسة، لا يمكن فصله عن العناصر الأخرى. بسبب التشابك المعقد بين عناصرها المختلفة لدرجة أن تلوث أحد العناصر

يسبب تلوث[١٤٠] العناصر الأخرى، إذ أن البيئة بعناصرها المختلفة تشكل نوعاً من التوازن البيئي، بحيث إن الإخلال في أحدها تتداعى له سائر العناصر الأخرى بالاضطراب والاختلال في التوازن البيئي الذي وضعه الله تعالى فيها ﴿ وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾ [١٤١]

لذا أحاول تناول عنصر الأرض بشيء من التفرد عن العناصر الأخرى، وأقصد بها التربة أو الطبقة السطحية التي تغطي وجه الأرض ، والتي تسمى في عرف العلماء صانعة الحياة، حيث إنها تمد البشر بما يحتاجون إليه من أنواع الأشجار والنباتات التي لا يستغنون عنها، ناهيك عن الآلاف من المواد الأخرى، سواء من الموجود على ظهرها أو المخزون في باطنها.

وهذا المصنع الضخم (صانعة الحياة) الذي يقوم بتزويد سكان الأرض بما يحتاجون إليه، أصبح بعد الاعتداء البشري عليه بالتلوث والاستنزاف الجائر لإنتاجه، أصبح في حاجة إلى صيانة[١٤٢] مكلفة جداً» وحماية«بوضع الدساتير وتنفيذ الاتفاقيات الدولية والتي منها قمة ريو في سنة ١٩٩٢ المعروفة بقمة الأرض» ويحتاج أيضاً إلى تكاتف العالم أجمع لحمايته وتجديد شبابه بصفة مستمرة، خصوصاً بعد أن أصبحت مشكلة البيئة مشكلة عالمية لا تعرف حدوداً أساسية أو فواصل طبيعية بين الدول والقارات تقف عندها «بل أصبح لكثير منها أبعاد استراتيجية»[١٤٣] .

وتتبين لنا عناية الإسلام بهذا الجانب من البيئة، إذا عرفنا أن الإنسان في نظر الإسلام هو خلاصة التربة الأرضية، منها خلق {ومن آياته أن خلقكم من تراب }[١٤٤] وفي الحديث: (إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو

آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر، والأسود، وبين ذلك والسهل والحزن والطيب والخبيث) [١٤٥].

والعلم الحديث يؤكد أن جسم الإنسان يتكون مما يتكون منه الكون بأسره[١٤٦].

فالإنسان ابن الأرض منها خلق، وعليها يعيش، وإليها يعود، ومنها يخرج تارة أخرى.

والقرآن الكريم قد أشار إلى تلوث التربة[١٤٧] بفعل الإنسان في آيات كثيرة، منها قوله تعالى : ﴿ .. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد [١٤٨] ﴾ [١٤٩]

وبصرف النظر عمن نزلت فيه، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما يقول الأصوليون إن نوعاً من التلوث بمفهوم العصر، قد حدث باحراق الحرث وما سببّه من تصاعد الدخان وثاني أكسيد الكربون ، وما يتخلف عن ذلك من أضرار، ومن إتلاف وجه الأرض، وتسبب في القتل والقضاء على أهم عنصر في بناء هذه البيئة وهو الإنسان. وسواء كان التولي نتيجة إعراضه عن منهج الله ، أو لكونه والياً ظالماً أو منافقاً تختلف أقواله عن أعماله ، وسواء كان الفساد مادياً كالذي يبدو لنا من ظاهر الآية ، أم معنوياً بإبعاد قلوب الناس عن منهج الله، أو بالإفساد بين الناس وما ينتج عن ذلك من أضرار، فالفساد حاصل على كل حال .

ولعل قوله تعالى : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ [١٥٠] ، نهي عن القيام بأي عمل وتحت أي مبرر للإضرار بعناصر البيئة وتبديلها عما خلقها الله عليه .

كما إليه الإشارة كذلك في قوله تعالى : ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ [١٥١]

واستهدى الفقهاء بتلك النصوص،وبينوا أن من ضمن رسالة الإنسان في هذا الوجود، هو وجوب الانتفاع بما في الكون، لذا تناولوا قضايا تعمير الأرض (البيئة) من حيث العمران، وكيفية البناء والارتفاع وتوزيع الشوارع، وحدود البناء، وبعد المصانع، ومخالفات السير وأشياء كثيرة .

كما تناولوا ما يتعلق بقضايا الأرض (البيئة البرية) من حيث كيفية التملك، وأقسام الأراضي في السلم وفي الحرب ، وغير ذلك ..

كما تناولوا كيفية طهارة الأرض النجسة (الملوثة) وحكم إحياء الأرض الموات، (استصلاح الأراضي) للمسلم وللذمي، والأحكام المتعلقة بذلك .

كما اعتبروا تعلم أصول الحراثة والزراعة، ونحوها مما تتم به المعايش التي بها قوام الدين والدنيا من فروض الكفايات ، وقالوا: إن وسيلة الواجب واجبة، ووضع الإمام أبويوسف كتاب الخراج لبيان كيفية استثمار الأرض ، وطرق الري من الأنهار الكبرى ، وموارد بيت المال، كما تناولوا كيفية زكاة المعادن المستخرجة من الأرض لأنها تتعلق بالجانب العقدي في هذه القضية . [١٥٢]

وإذا كان حفظ النفس من الضروريات الخمسة التي يجب المحافظة عليها، ويحرم التفريط فيها بأي صورة كانت ، فإنه يجب المحافظة على البيئة البرية بكل عناصرها، لتوقف حياة الإنسان عليها. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. كما أخذوا من الآيات التي نهت عن الفساد في الأرض، وكذلك من الأحاديث الواردة

في فضل الزرع، وجوب المحافظة على سلامة التربة وصلاحيتها من الملوثات، لتبقى صالحة للإنبات، وسمى إصلاح الأرض والاهتمام بزراعتها إحياء الموات، وأن من أحيا أرضاً ميتة فهي له وما أكلت العافية (كل طالب رزق آدمياً أو غيره) منها فهو له صدقة[١٥٣] ، ومن تركها دون زراعة، فمن عمرها فهو أولى بها[١٥٤].

كما أن الآيات والأحاديث الواردة في الطهارة تكون منطلقاً لهم للقول بوجوب نظافة الأرض ومنع تلوثها، لأنها كما وصفها بعض العلماء صانعة الحياة. فيجب المحافظة عليها من التلوث، لوجوب المحافظة على النفس.

وقد علمنا مما سبق مدى الارتباط الوثيق بين عناصر البيئة المختلفة بحيث تشكل وحدة تكاملية، فالحفاظ على التربة يستلزم الحفاظ على العناصر الأخرى، لتحقيق التوازن في النظام البيئي، حتى نضمن السلامة والاستمرار، وذلك يمنع التلوث، ووقف الاستنزاف الجائر لموارد الطبيعة، لأن الاعتداء الجائر على البيئة عمل محرم في الشرع ، لأنه اعتداء على حياة، فهو كبيرة ، فمن يقتل البيئة يقتل أسباب الحياة. وقد مرت النصوص الدالة على ذلك[١٥٥]، ومن جهة أخرى ، فإن ما يصيب الأرض التي خرجنا من رحمها ، وترعرعنا في حضنها- يصيبنا جميعاً، وإن إلحاق الضرر بها إساءة إلى خالقها، وخيانة للأمانة التي إئتمن عليها الإنسان.

المبحث الثالث

حماية البيئة عن طريق العقوبات الرادعة

تنطلق مبادىء الإسلام في إصلاح الفرد والجماعة والكون والبيئة من منطلق العناية بالإنسان وتربيته، وغرس القيم الفاضلة في نفسه، وجعله يستشعر رقابة الله عليه، وبذلك يتحقق الإنسان الصالح المصلح النافع لنفسه، والمفيد لغيره.

ولذلك يركز الإسلام على هذا البناء الداخلي، وتلك الرقابة الذاتية مرغباً النفوس على الطاعات وفضائل الأعمال الصالحات، ومنذراً بمخاطر المعاصي والجرائم والسيئات في الدنيا والآخرة، وما يترتب على ذلك من دخول النار والعذاب الشديد في الآخرة.

ولكن الإسلام لا يكتفي بهذه التربية على الرغم من أهميتها القصوى ولا بالترغيب والترهيب، والإنذار مع أثرها البالغ في النفوس المؤمنة الطيّعة الرقيقة الوجلة، وإنما وضع عقوبات رادعة وذلك لأن الله الخالق للإنسان يعلم أن هناك من الأشخاص من لا تردعهم إلا العقوبات الدنيوية، ولا يمنعهم إلا الخوف من الوقوع تحت طائلة العقاب، ولذلك شرع القصاص، والحدود، والتعازير .

ومن المعلوم شرعاً أن القصاص والحدود محدودة، في حين أن باب التعازير واسع جداً يشمل كل المعاصر التي يترتب عليها ضرر، كالاحتكار، والغش، والإضرار بالناس ونحو ذلك مما تكفلت به كتب الفقه في كتاب الجنايات والتعازير.

ومن هذا المنطلق ننظر إلى التعدي الواقع على البيئة سواء أكان في مجال البيئة المائية، أو البرية، أو الجوية، وسواء كان ذلك بسبب التلوث، أم بسبب آخر..

وموقف الفقه الإسلامي من هذا التعدي واضح وهو أنه حرام لقول النبي ﷺ (لا ضرر ولا ضرار) [١٥٦] وللأدلة الشرعية الأخرى من الكتاب والسنة والإجماع على أنه لا يجوز شرعاً لأحد أن يلحق ضرراً بآخر في أي شيء يخصه في نفسه وخصوصياته، وماله وعرضه إلا بحق، كما اتفق الفقهاء على وجوب إزالة الضرر إذا وقع كما في قاعدة «الضرر يزال» [١٥٧].

وإذا ثبت أن الضرر في البيئة متحقق من خلال الأسباب التي ذكرناها فإن ذلك كاف في ثبوت الحرمة لكل عمل يؤدي إلى الإضرار بالبيئة، أو بعبارة دقيقة إلى الإضرار بالإنسان، وذلك لأن كل ما يضر بالبيئة يترتب عليه الإضرار بالإنسان نفسه، إما في صحته ، أو في ماله، أو في مستقبل الأجيال اللاحقة؛ ولم تعد آثار التعدي على البيئة وأضراره مجرد ظنون أو أوهام، بل هي حقائق محسوسة لا ينكرها أحد في وقتنا الحاضر، ولكن العقاب في الفقه الإسلامي سواء كان عقاباً بدنياً أم مالياً(المسؤولية الجنائية والمدنية) يتوقف على أمرين:

الأمر الأول : القصد الجنائي المتمثل في الإرادة والقصد.

والأمر الثاني : تحقيق ذلك الضرر في الشخص المضرور.

وإذا توافر هذان العنصران الأساسيان مع بقية الشروط، وعدم وجود الموانع فإن المسؤولية المدنية (التعويض) والمسؤولية الجنائية (التعزير بالضرب والسجن ونحوهما) تتحققان .

ولاشك أن هذين العنصرين متوافران في كل من يضر بالبيئة قصداً، بل نستطيع القول بأن الإضرار المتعمد بالبيئة فساد في الأرض وإضرار بالناس، وبالمجتمع،

يقول الشيخ محمد أبو زهرة، بعد ما ذكر مجموعة من المباديء الشرعية: «ومنه يتبين أن هذه الجرائم تختص بأنها معاص منهي عنها في الدين والأخلاق ويترتب عليها إفساد، ويمكن أن تجري عليها بينات الإثبات في مجلس القضاء»، ثم قال:«وضرر العامة يجب على ولي الأمر دفعه، لأن عمل ولي الأمر هو دفع الفساد، ورعاية المصالح، ولا يصح أن يكون الفساد مؤدياً إلى فساد أشد..»، ثم قال:«والجرائم التعزيرية قد تكون جريمة فيها اعتداء مباشر على المجتمع، أو على أوامر الله تعالى ونواهيه من غير أن يكون ثمة اعتداء على شخص معين.. وقد تكون الجناية على الأشخاص...»[١٥٨]

ومن هنا يرجع تقدير التعويض عن تلك الأضرار البيئية إلى أهل الخبرة، كما أن تقدير العقوبة التعزيرية يعود إلى القاضي.

ولذلك نرى ضرورة تشريع قانون خاص يحمي البيئة في كل جوانبها، ويضع العقوبات الرادعة على كل من تسول له نفسه للاعتداء عليها، بل لابد أن ينظر إلى من كثر فساده في البيئة كمن أشعل نار الفتنة والحرب التي أدت إلى أضرار كبيرة بالبيئة، ينظر إليه كمجرم حرب، وتوضع له العقوبات الرادعة، فقد أشار القرآن الكريم إلى تلكم الجريمة الكبرى المتمثلة في إهلاك الحرث والنسل، فقال تعالى : ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ [١٥٩]

وقد أوضحت الآيات القرآنية أن الشخص يقتل بقتله نفساً بدون حق، وبالفساد في الأرض، فقال تعالى : ﴿ ذلك بأنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض ﴾ [١٦٠]. ولذلك لا يوجد مانع شرعي أن يصل التعزير في بعض حالات الإضرار بالبيئة إلى القتل (الإعدام).

والخلاصـــة :

إن حل مشكلة البيئة عند التزام الإنسان بالدين الحق الذي جاء ببناء الإنسان عقلياً وروحياً وخلقياً وعلمياً واجتماعياً، والذي جعل رسالته الأولى عبادة خالق الكون وتعمير الأرض والحفاظ على الكليات الخمس التي عليها يتوقف نظام الحياة ولا غنى لحضارة عنها، وهي حفظ النفس والنسل والعقل والمال والدين، والذي بنى المجتمع الإنساني على التعاون والتكافل والعدالة والمساواة والحرية والمسؤولية المشتركة فحمت الإنسان من الأمراض التي أودت بالحضارات السالفة مثل التفسخ الخلقي والتفكك الأسري والنزعة العدوانية ولذا عاشت البيئة في ظل هذا التشريع مصانة وبمقدار ابتعادهم عنه تضيق حياتهم ويتهدد بقاؤهم.

نتائج وتوصيات

بعد هذه الجولة مع البيئة وحماية الشريعة لها ، ما أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من هذه الدراسة ، وما أهم التوصيات التي ينبغي الإشارة إليها.

أما النتائج فأهمها مايلي :

أولاً - تطلق البيئة على ما كل يحيط بالإنسان من كائنات حية وغير حية، ولكنها في المفهوم الإسلامي تطلق على الكون كله.

ثانياً - تتعرض البيئة لأخطار تهدد استمرار الحياة ومن ثم كانت الجهود الأقليمية والدولية لحماية البيئة ومع كثرة المؤتمرات والقوانين مازالت المشكلة قائمة، بل وتزداد خطورة يوماً بعد يوم.

ثالثاً - ويرجع السبب في عجز القوانين والمؤتمرات عن العلاج الحاسم إلى أنه لا توجد علاقة نفسية بين الإنسان وما يصدر من تشريعات خاصة بحماية البيئة.

رابعاً - إن التشريعات الإسلامية هي وحدها الكفيلة بحماية البيئة لأنها تجعل هذه الحماية جزءاً من العقيدة وفريضة يجب القيام بها.

خامساً - سبق الإسلام بكل تشريعات القوانين الوضعية في مختلف مجالات الحياة ومنها مجال حماية البيئة.

سادساً - تقوم تعاليم الإسلام في حماية البيئة على أسس راسخة من التوجيهات والأوامر والنواهي، وأخيراً العقوبات الرادعة التي تمنع الضرر والضرار والإفساد.

و أما أهم التوصيات ، فهي:

أولاً - توصي الدراسة على تعاون العلماء في كل دول العالم للوصول إلى طاقة لا تسبب تلوثاً للبيئة.

ثانياً - ينبغي نشر الوعي البيئي بأسلوب علمي يحقق حماية البيئة من كل ما يتهددها من أخطار، وذلك بإنشاء هيئة دولية تضم كبار العلماء في مجال الدراسات البيئية وما يتصل بها. وإدراجها ضمن المناهج الدراسية

ثالثاً - إن المبادىء الإسلامية في حماية البيئة يجب وضعها في أسلوب قانوني ، وجعلها ضمن القوانين الدولية في الحفاظ على البيئة.

رابعاً - يجب عند وضع الخطط العامة للمنشآت الصناعية ألا تجور هذه المنشآت على سلامة البيئة.

خامساً - يراعى في وضع العقوبات للذين لا يراعون حق البيئة في الحماية أن تكون صارمة بحيث تكون رادعة ومحققة للغاية منها.

سادساً - إنشاء شركات تأمين يعهد إليها من قبل الشركات والمصانع بتغطية المخاطر التي تتعرض لها البيئة من جراء مخلفات هذه الشركات والمصانع.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

الهوامش

(١) انظر: الموضوع بتوسع في كتاب تغيير المسار، ص ٢٦ ستيفن شميد ، ترجمة د.على حسين ، دار البشير ، عمان. الأردن .

و- السكان وكوكب الأرض- ، ص١٥٥ لبستر ر.براون وهال كين ، ترجمة ليلى زيدان. ط. الجمعية المصرية لنشر المعرفة.

(٢) الحياة السعودية في ١٩٩٨/٨/٢٧، ومؤتمر كيوتو في اليابان سنة١٩٩٧م لمواجهة احترار الأرض ، وعقدت قبل ذلك وبعده مؤتمرات كثيرة للدلالة على أهمية البيئة، منها :

- مؤتمر استكهولم في ١٩٧٢، ومؤتمر برتوكول مونديال ١٩٨٩، وغير ذلك . انظر دبلوماسية البيئة ص٨٥ تأليف لورانس ، ترجمة د.أحمد أمين ط.الجمعية المصرية لنشر المعرفة سنة١٩٩٧م .
- والمؤتمر الإقليمي لتعاونيات التسرب النفطي الذي عقد في قطر من٩-١٠ فبراير ١٩٩٣ لحماية البيئة البحرية.
- وانظر الإجراءات الأخرى : تغيير المسار ستيفن شميد ، ص١١٠، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٨و٢٧٧، ٢٩٦.

(٣) حقوق الإنسان : د.عمر سعد الله ، ص١٥١، ١٥٣، ط . الجزائر ١٩٩٤م .

(٤) التربية البيئية : مشكلات وحلول، د.رياض الجبان، نقلاً عن حلقة اليونسكو .

(٥) وانظر حول تعريف البيئة:د.أحمد عبدالجواد، ص٣١، ٣٢، ٤٣، والبيئة: عادل الشيخ حسين، ص١٧. وحماية البيئة : د.أحمد سلامة، ص ٢٧١، مجلة الأحمدية: ع١ س ١٤١٩هـ .

(٦) الأرض ،آل جور، ص٢٦٤ .

(٧) انظر كتاب دبلوماسية البيئة ، لورانس وترجمة د.أحمد أمين الجمل.ط.الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ص٤٤ ، ٨٥ .

● واقتصاديات البيئة د.رسلان خضور، ص٩ط وزارة الثقافة السورية،

● وانظر تفاصيل هذه الاتفاقيات في كتاب قانون حماية البيئة الإسلامي د.أحمد عبدالكريم سلامة ، ص٢٩٥ وما بعدها ، ط.القاهرة ١٩٩٦م.

(٨) الرحمن: آية ١٠.

(٩) نوح : الآية ١٧.

(١٠) في ظلال القرآن(٤٧٩/٥).

(١١) القمر : الآية ٤٩ .

(١٢) التنبؤ الوراثي ، ص١٧٨:د. سنياي وزميله ترجمة د. مصطفى فهمي وزميله ط. الكويت .

✛ والعلوم السلوكية والإنسانية في الطب د. منير فوزي ط١ النهضة المصرية .

✛ والشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي، د.حيدر فؤاد ص١٢٥ ط. دار نهضة مصر .

✛ ومختارات من أدب العرب للشيخ الندوي (١١٨/٢) أو تأثير البيئة في الأدب .

(١٣) الأعراف : ٥٨.

(١٤) النساء : ٧٥.

(١٥) الفرقان : الآية ٢٨.

(١٦) الحديث متفق عليه، فتح الباري ٢٤٥/٣ وصحيح مسلم ٢٠٤٧/٥، وانظر فيض القدير (٥/ ٣٣).

(١٧) الزخرف : الآية ١٨.

(١٨) انظر مقدمة ابن خلدون(٣٨٧/١) وما بعدها ط دار نهضة مصر تحقيق الدكتور علي عبدالواحد وافي.

(١٩) انظر: تفصيل ذلك: حماية البيئة من التلوث بالفيروسات ص٤٧ تلوث الهواء بالفيروسات.د.حامد طنطاوي وزملاؤه.

+ والبيئة مشكلات وحلول ، ص٦٥ ، عادل الشيخ ط. دار اليازوري العلمية - عمان .

+ والراية القطرية الصادرة في ١٩٩٩/٣/٩م (ضحايا التلوث في دكا بالآلاف).

(٢٠) الأرض في الميزان ، آل جور ص٣٥ .

(٢١) الأرض في الميزان ، آل جور ص٣٤ ، ٦٧ .

(٢٢) المرجع السابق .

(٢٣) المرجع السابق .

(٢٤) صدمة المستقبل تأليف الفين توفلر ، ترجمة محمد علي ناصف ط. نهضة مصر.

(٢٥) سورة الفرقان : الآية ٢ .

(٢٦) الظلال (٣١٨/٧). والخصائص العامة للإسلام للقرضاوي ، ص١١٥.

(٢٧) سورة الإسراء : الآية ٧٠ .

(٢٨) سورة الطارق : الآية ٥-٦ .

(٢٩) انظر لصفة التوازن في الإنسان -الخصائص العامة للإسلام للشيخ القرضاوي ، ص١٢٨.

(٣٠) سورة الحديد : الآية ٢٣

(٣١) سورة الحجر : الآية ١٩.

(٣٢) سورة غافر: الآية ٤٣.

(٣٣) المفردات للأصبهاني ، ص٢٣.

(٣٤) عون المعبود (٣٧٠/٩)

(٣٥) سورة الإسراء : الآية ٢٠ .

(٣٦) سورة الأعراف : الآية ٣١ .

(٣٧) سورة غافر : الآية ٤٣ .

(٣٨) قانون حماية البيئة :د.أحمد سلامة، ص١٢٦، وجريدة العالم الإسلامي الصادرة ٢٣-٢٩ مارس ١٩٩٨م مقال للسيد الصوري.

● وحقوق الإنسان للدكتور عمر سعد الله ، ص١٥٥، حول اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، المادة ١٤٥ لحماية البيئة البحرية .

(٣٩) صدمة المستقبل ، ص ٤٥٠ .

(٤٠) سورة الفرقان : الآية ٤٣ .

(٤١) سورة الأنفال : الآية ٢٤ .

(٤٢) فتح الباري (٢٥٨/٦) .

(٤٣) سورة النحل : الآية ٩٦ .

(٤٤) سورة الفجر : الآية ١٣ .

(٤٥) سورة الأعراف : الآية ٩٦.

(٤٦) مسند الإمام أحمد (٢٧٧/٥) ورواه ابن ماجه في الفتن .

(٤٧) رواه الطبراني : الفتح الكبير(٢/ ٩٠)

(٤٨) سورة الأنعام: الآية ٢٦.

(٤٩) انظر: الكتاب المذكور، ص٨ -٣٣

(٥٠) المصدر السابق ، ص١٨٤، ٢٢٠

(٥١) المصدر السابق، ص٢٢٣، ٢٢٥.

(٥٢) المصدر السابق ، ص٢٤٥ ، ٢٤٩.

(٥٣) بيئتنا في خطر أ.د. إسماعيل محمد المدني، ص٢٨٣.

(٥٤) سورة سبأ : الآية ١٧ .

(٥٥) سورة النمل : ٣٤ .

(٥٦) الأرض في الميزان : آل جور ، ص١١٠، ١٢٥ .

(٥٧) سورة الرعد : الآية ٨ .

(٥٨) البيئة مشكلات وحلول: عادل الشيخ حسن ، ص٦٧، ومابعدها، وكتاب القرآن وتلوث البيئة للمهندس محمد الفقي، ص٢٩.

وانظر : تفاصيل تلك الأضرار، كتاب السكان وكوكب الأرض، ص١٦٢-١٦٥، والأرض ، ص١٠٠.

(٥٩) بيئتنا في خطر: د. إسماعيل المدني، ص٢٧٩.

(٦٠) فتح الباري (١١٤/٥) باب إماطة الأذى.

(٦١) سورة الأعراف : الاية ٢ .

(٦٢) سورة الحج : الآية ٥ .

(٦٣) سورة الجاثية : الآية ١٣ .

(٦٤) سورة يس: الآية ٣٦ .

(٦٥) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

(٦٦) سورة الأعراف: الآية ٩٦ .

(٦٧) فتح الباري (١١٤/١) .

(٦٨) سورة نوح : الآية : ١٠ و ١١ .

(٦٩) سورة الأنفال : الآية ٢٥.

(٧٠) انظر حول هذا المعنى الإنسان في الإسلام، والإنسان المعاصر . د.عبدالغني عبود، ص١٢٧، والتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، عثمان جمعة ص٤٧، ٧٣.

(٧١) سورة آل عمران : الآية ١٩١.

(٧٢) ذهب الإمام الغزالي إلى أن المراد من قوله عليه الصلاة والسلام (الطهور شطر الإيمان) هو طهارة الظاهر والباطن معاً.

(٧٣) جزء من حديث رواه مسلم ، صحيح مسلم (٢٠٣/١)

(٧٤) رواه أحمد وابن وهب عن جابر ، الفتح الكبير (١٣٧/٣)،ومسند أحمد (٣٣٠/٣)

(٧٥) سورة المدثر: الآية ٤.

(٧٦) الظلال (٨/٣٦٠) وانظر: خلق المسلم للشيخ الغزالي ، ص١٥٨.

(٧٧) رواه البخاري ، فتح الباري (٣/١٣٥).

(٧٨) الحديث متفق عليه، انظر فتح الباري (٢/٣٧٤) والنووي على مسلم (٣/١٤٣).

(٧٩) رواه البخاري. فتح الباري (٤/١٥٨).

(٨٠) رواه مسلم: انظر النووي على مسلم(٣/١٤٧).

(٨١) صحيح مسلم (١/٢٢٣)

(٨٢) عون المعبود (١٠/٢٣٠)، ولمعرفة فوائد النظافة من الناحية الطبية يراجع كتاب الطب النبوي والعلم الحديث للدكتور محمود النسيمي (١/٥٧) ومابعدها.

(٨٣) الحديث متفق عليه ، فتح الباري (١/٢٧٤) ومسلم(١/٢٣٤)

(٨٤) الفتح الكبير (٢/٢١٦)

(٨٥) صحيح مسلم (٣/١٥٩٤).

(٨٦) رواه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس، الفتح الكبير (٣/٢٩٦ ، ٢٧٤) وأصله في الصحيحين فتح الباري (١/٢٥٤) وصحيح مسلم (١/٢٢٥).

(٨٧) رواه الطبراني ، الفتح الكبير (٣/٢٧٢، ٢٧٦) رواه أحمد (١/٣٠٩) وعون المعبود (١٠/ ١٩٤) .

(٨٨) الفتح الكبير (٢/٢١٦).

(٨٩) رواه الترمذي في الأدب.انظر تحفة الأحوذي (٨/٨٢) .

(٩٠) سبق تخريجه .

(٩١) رواه أبو داود وغيره، الفتح الكبير(١/٣٥) وعون المعبود (١/٤٨) وأحمد (١/٢٩٩) وله شاهد عند مسلم (٣/١٦٥)

(٩٢) الفتح الكبير(٢/٢١٦)

(٩٣) سورة الأنبياء: الاية٣٠

(٩٤) سورة هود : الآية٧.

(٩٥) سورة القمر : الآية ٢٨.

(٩٦) رواه أبو داود وابن ماجه والدارمي.وأحمد ، الفتح الكبير(٢٥٧/٣) وجامع الأصول لابن الأثير(٤٨٥/١) و إسناده صحيح ، وعون المعبود (٣٧٠/٩)

(٩٧) جامع الأصول(٤٨٤/١) وقال: أخرجه الترمذي وأبوداود والنسائي وإسناده صحيح.

(٩٨) رواه أبو داود ، عون المعبود (٩٥/٥)

(٩٩) الحديث متفق عليه. الفتح الكبير للسيوطي (٥٧/٢) وفتح الباري (٣٤/٥) وباب سكر الأنهار(٣٨/٥)، وصحيح مسلم رقم ١٠٨ في الإيمان.

(١٠٠) فتح الباري (٢٥٤/٨)

(١٠١) رواه مسلم كتاب الحيض، صحيح مسلم(٢٥٨/١).

(١٠٢) مسند أحمد(٢٢١/٢)، تلخيص الحبير(١٤٤/١) وانظر تعليق الحافظ ابن حجر في الفتح(٢٣٤/١)

(١٠٣) سورة الشورى : الآية ٢٧.

(١٠٤) سورة الأنفال : الآية ٢٤.

(١٠٥) صحيح مسلم (٢٣٢/١)، ولمعرفة الناحية الطبية بهذا الموضوع راجع الطب النبوي والعلم الحديث للنسيم (٥٢/٢)

(١٠٦) رواه البخاري : فتح الباري (٣٤٦/١)

(١٠٧) رواه البخاري : فتح الباري (٣٤٦/١)

(١٠٨) رواه الترمذي ، الفتح الكبير (٢٦٩/٣) وانظر سنن ابن ماجه (١١١/١) ومجمع الزوائد (٢٠٤/١)

(١٠٩) رواه أبو داود وابن ماجه، والحاكم والبيهقي ، الفتح الكبير (٣٥/١) ومعالم السنن (٢١/١) وسنن ابن ماجه (١١٩/١) ومجمع الزوائد (٢٠٤/١)

(١١٠) سورة النساء : الآية ١٠١

(١١١) سورة البقرة : الآية ١٩٥.

(١١٢) سورة النساء : الآية ٢٨

(١١٣) السكان وكوكب الأرض، ص١٢٣.

(١١٤) السكان وكوكب الأرض ، ص٧٩، ٨٢، ٨٧، ١٦٢.

(١١٥) البيئة من حولنا، ص٢٩، ٦٨.

(١١٦) القواعد الفقهية: د. علي الندوي، ص٢٩١، ط دار القلم.

(١١٧) انظر: البيئة من حولنا ، ص١١١، ١١٤ ، ١٦٧، ٢٣٧، والبيئة في الفكر الإنساني ، ص٤٥ و٤٦ والكون والأرض والإنسان في القرآن، ص٢٠٧ ، ٢١٢.

(١١٨) أصله في الصحيحين وبهذا اللفظ رواه مسلم، الفتح الكبير (١١٨/٣، ١٢٠) ، وفتح الباري(٣/٥)، وصحيح مسلم ، حديث رقم ١٥٥٣ وجامع الأصول (٥٧٧/٩)

(١١٩) رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، الفتح الكبير (٢٦٧/١).ومسند أحمد (١٩١/٣)

(١٢٠) رواه البخاري. فتح الباري (١٨/٥).

(١٢١) فتح الباري (١٨/٥).

(١٢٢) رواه البخاري ، فتح الباري (٢٢/٥)

(١٢٣) رواه أبو داود - عون المعبود (١٥٢/١٤) والسنن الكبرى للبيهقي (١٣٩/٦)

(١٢٤) الرد على سيرالأوزاعي للإمام أبي يوسف ص٨٤ ط١ حيدر آباد الدكن.

(١٢٥) ومن هذا وقوف الهدهد مع سليمان وتسببه في إسلام شعب بأكمله، ووقوف الفيل مع الحق ضد الباطل، ومعه الطير الأبابيل، ودعاء نملة سليمان ..... ، وكلب أصحاب الكهف ، وكبش إسماعيل وغيرذلك .

(١٢٦) بتصرف من الظلال (١٩٨/٣) .

(١٢٧) سورة الأنعام : الآية ٣٨ .

(١٢٨) سورة التكوير : الآية ٥.

(١٢٩) رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي، وعلل قتل الأسود لأنه ضار ومؤذ . وانظر: فيض القدير (٣٤١/٥) وجامع الأصول (٢٣٩/١٠) .

(١٣٠) رواه البخاري. فتح الباري (٤١/٥)

(١٣١) فتح الباري (٤٠/٥)

(١٣٢) تفسير القرطبي (٣٥/٧) والنووي على مسلم (١٤٧/١٦).

(١٣٣) فتح الباري (٤١/٥).

(١٣٤) حاشية ابن عابدين (٤٢٥/٥ ، ١٨/٢)

(١٣٥) المجموع للنووي (٢٦٢/٨)

(١٣٦) الأشباه والنظائر للسيوطي، ٣٧٤. وقليوبي وعميره(١٨٧/٣ ، ٩٤/٤)

(١٣٧) تحصيل الطريق ، ص١٢٠ وابن عابدين (٣٨٦/٥).

(١٣٨) كنز العمال (٣٢٣/١٢)

(١٣٩) من توصيات قمة الأرض في ريو سنة ١٩٩٢م

(١٤٠) نقصد بالتلوث معناه العلمي.

(١٤١) سورة الحجر : الآية١٥.

(١٤٢) قدرت بنحو مائتي مليار دولار ، انظر السكان وكوكب الأرض. ليستر ص١٦٣.

(١٤٣) الأرض في الميزان، ال جور، ص٢٢٥، ترجمة د. عواطف عبدالجليل ، ط. مركز الأهرام.

(١٤٤) سورة الروم : الآية ٢٠.

(١٤٥) رواه الترمذي .

(١٤٦) الإعجاز العلمي في القرآن، لمحمد سامي ص١٠٢ ط. دار المحبة.

(١٤٧) ورد لفظ الأرض في القرآن(٤٦١) مرة

(١٤٨) البقرة : الآية ٢٠٥ .

(١٤٩) انظر تفسير زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٢٠) ط١ وتفسير ابن كثير (٤٣٦/١).

(١٥٠) سورة الأعراف : الاية ٨٥ .

(١٥١) سورة الشعراء : الآيات: ١٥١ : ١٥٢ .

(١٥٢) حاشية ابن عابدين(١/ ٤٠)؛ والطرق الحكمية(٢٤٧)؛ وغاية المنتهى (٤٤١/١)؛ وانظر كل ما يتعلق بالأرض: الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي(٤٨٥/٨).

(١٥٣) أصله حديث رواه أحمد والنسائي وابن حبان. انظر فيض القدير(٣٩/٥) والأحكام السلطانية للماوردي ، ص١٧٧.

(١٥٤) الممتع في شرح المقنع(٦٢/٤).

(١٥٥) أقصد النصوص التي نهت عن الفساد في الأرض، وأنه ما من شيء إلا يسبح بحمده،والأحاديث التي نهت عن الاعتداء على البيئة النباتية والحيوانية، وأنها أمم أمثالنا.

(١٥٦) الحديث رواه مالك مرسلاً، لكنه جزم بنسبته إلى النبي ﷺ في الموطأ (٧٤٥/٢) ورواه مرفوعاً أحمد في مسنده(٣٢٦/٥ ، ٣٢٧) وابن ماجه الحديث رقم(٢٣٤٠)والحاكم وصححه ووافقه الذهبي(٥٧/٢ -٥٨) وقال في الإرواء (٤١٠/٣) صحيح.

(١٥٧) انظر: الأشباه والنظائر ، ط.عيسى الحلبي بالقاهرة، ص(٩٢) والأشباه والنظائر لابن السبكي،ط. دار الكتب العلمية(٤١/١).

(١٥٨) الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي ، ط. دار الفكر العربي ، بالقاهرة، ص١٢٣-١٢٩، باختصار.

(١٥٩) سورة البقرة : الآية ٢٠٥ .

(١٦٠) سورة المائدة : الآية ٣٢ .

مراجع البحث

١ - الأحكام السلطانية للماوردي. تحقيق د. محمد فهمي السرحان. ط. المكتبة التوفيقية. مصر.

٢ - الأرض في الميزان: آل جور: ترجمة د. عواطف عبدالجليل.ط. مركز الأهرام للترجمة والنشر - مصر.

٣ - الإسلام ومشكلات الحضارة، للشهيد سيد قطب. ط. دار الشروق.

٤ - الأشباه والنظائر لابن السبكي،ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

٥ - الأشباه والنظائر للسيوطي،ط. دار إحياء الكتب العربية. عيسى الحلبي. مصر.

٦ - الإعجاز العلمي في القرآن محمد سامي محمد علي ط. دار المحبة.

٧ - اقتصاديات البيئة: د. رسلان خضور ط. وزارة الثقافة السورية سنة١٩٧٧.

٨ - الإنسان في الإسلام، والإنسان المعاصر:د. عبدالغني عبود.

٩ - بيئتنا في خطر: أ.د. إسماعيل محمد المدني. ط. دار الحكمة. البحرين.

١٠- البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني د.عبدالحكم عبداللطيف الصعيدي. ط. الدار المصرية اللبنانية ط١٩٩٤م.

١١- التربية البيئية د.أحمد دلاشه وزملاؤه، ط. عمان ١٩٨٧.

١٢- التربية البيئية مشكلات وحلول د. رياض الجبان، ط. دار الفكر المعاصر، بيروت.

١٣- البيئة من حولنا: ترافس واجنر. ترجمة د. محمد صابر، ط. الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية. مصر.

١٤- تحصيل الطريق للإمام عبدالبر بن الشحنة. تحقيق د.كاظم طلبب. ط. وزارة الأوقاف القطرية.

١٥ - البيئة مشكلات وحلول: عادل الشيخ حسين. دار البازوري العلمية. عمان.

١٦ - التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان:د. عثمان جمعة.

١٧ - تغيير المسار. ستيفن شميد ها يني ترجمة د.علي حسين حجاج ومراجعة د. موفق الصفار، ط. دار البشير. الأرض.

١٨- تفسير ابن كثير .ط. دار الفكر ، بيروت.

١٩- تفسير زاد المسير لابن الجوزي ط. المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٠- تفسير القرطبي .ط. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

٢١- تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا.ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٢- تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني ط. مكتبة الكليات الأزهرية، تحقيق د.شعبان إسماعيل.

٢٣- التنبؤ الوراثي: د. زولت هار سنياي وريتشارد هتون. ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي، سلسلة عالم المعرفة - الكويت.

٢٤- جريدة الراية القطرية الصادرة في ١٩٩/٣/٩م (ضحايا التلوث في دكا بالآلاف).

٢٥- جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، سنة ١٩٦٩

٢٦- جريدة العالم الإسلامي الصادرة في ٢٣-٢٩ مارس ٩٨م، مقال للسيد الصوري.

٢٧- جريدة الحياة السعودية الصادرة في ١٩٩٨/٨/٢٧م.

٢٨- الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي،للشيخ أبي زهرة ط. دار الفكر العربي ، القاهرة.

٢٩- حاشية ابن عابدين.ط. دار إحياء التراث العربي.

٣٠ - حقوق الإنسان: د.عمر سعدالله،ط.ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر

٣١ - حماية البيئة من التلوث بالفيروسات د.حامد طنطاوي وزميلاه، ط، دار الراتب الجامعية.

٣٢- الخصائص العامة في الإسلام، للعلامة القرضاوي: ط. مؤسسة الرسالة ١٩٨٩.

٣٣ - خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي: ط. دار الريان للتراث- القاهرة.

٣٤ - دبلوماسية البيئة. لورانس إ. سكند. ترجمة د. أحمد أمين الجمل ط. الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية - القاهرة.

٣٥- الرد على سير الأوزاعي للإمام أبي يوسف ط. حيدر آباد الدكن.

٣٦- السكان وكوكب الأرض. ليستر ر.براون وهاك كين. ترجمة ليلى زيدان. ط. الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية - القاهرة.

٣٧- سنن ابن ماجه.ط. عيسى الحلبي ، مصر.

٣٨- سنن النسائي ط. دار الكتاب العربي ، بيروت.

٣٩- الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي، د.حيدر فؤاد . ط دار نهضة مصر.

٤٠- شرح النووي على صحيح مسلم، ط. المطبعة المصرية.

٤١- صدمة المستقبل: الفين توفلر، ترجمة محمد علي ناصف ط. نهضة مصر.

٤٢- الطب النبوي والعلم الحديث، د. محمود النسيمي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٣- الطب الوقائي في الإسلام: عمر بن محمود بن عبدالله. ط. دار الثقافة - الدوحة.

٤٤- الطرق الحكمية للإمام ابن تيمية . تحقيق د. محمد جميل غازي.ط. مطبعة المدني - مصر.

٤٥- الطهور لأبي عبيد القاسم بن سلام. تحقيق مشهور حسن سلمان. ط. مكتبة الصحابة .

٤٦- العلوم السلوكية والإنسانية في الطب: د. منير فوزي ط١ النهضة المصرية.
٤٧- عون المعبود شرح أبي داود. تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان.ط. المكتبة السلفية. المدينة المنورة.
٤٨- فتح الباري لابن حجر العسقلاني.ط. المكتبة السلفية. مصر.
٤٩- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للنبهاني ط. مصطفى الحلبي- مصر.
٥٠- الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي.ط. دار الفكر ، بيروت.
٥١- في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب، ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٥٢- فيض القدير للمناوي.ط. دار المعرفة ، بيروت.
٥٣- قانون حماية البيئة الإسلامي: د. أحمد عبدالكريم سلامة ط. الأولى ١٩٩٦م - القاهرة.
٥٤- القرآن الكريم وتلوث البيئة: محمد عبدالقادر الفقي، مكتبة المنار الإسلامية.
٥٥- قليوبي وعميرة، ط. عيسى الحلبي - مصر.
٥٦- كنز العمال للبرهان فوري.ط. دار اللواء - الرياض.
٥٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي ، ط.مكتبة القدس، القاهرة.
٥٨- المجموع للنووي.ط. المكتبة العالمية بالفجالة. مصر.
٥٩- مختارات من أدب العرب للشيخ أبو الحسن الندوي. ط. مكتبة دار العلوم - الهند.
٦٠ - المرصع: لابن الأثير. تحقيق د. إبراهيم السامراني ط. الأوقاف العراقية سنة ١٩٧١م.
٦١- مسند الإمام أحمد ط. المكتب الإسلامي، بيروت.
٦٢ - المعجم الوسيط: ط. دار إحياء التراث- الدوحة.
٦٣- المفردات للراغب الأصبهاني.ط.دار المعرفة ، بيروت،
٦٤- مقدمة ابن خلدون. ط. دار نهضة مصر، تحقيق الدكتور على عبدالواحد وافي.
٦٥- مقومات الشخصية المسلمة للدكتور ماجد عرسان الكيلاني ط١، سلسلة كتاب الأمة.
٦٦- الممتع في شرح المقنع للتنوخي الحنبلي: تحقيق د. عبدالملك بن دهيش. ط. دار خضر. بيروت.
٦٧ - الموطأ للإمام مالك،ط. عيسى الحلبي ، مصر.
٦٨- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبدالرحمن بن نصر الشيزري :تحقيق السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٩م.